المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/XKEB1226
القبول Accepted
2024-10-7
التعديل Revised
2024-8-15
التسلم Received
2024-4-1

عمر عاشور | Omar Ashour*

الدفاع الهجين للدول الصغيرة: دروس وتداعيات استراتيجية من أوكرانيا وغزة (2014–2024)

Hybrid Defence for Small States: Strategic Lessons and Implications from Ukraine and Gaza (2014-2024)

إنْ فشل الردعُ وتَعثرت الدبلوماسية، كيف يمكن أن تدافع الدول الصغيرة عن نفسها في مواجهة خصوم أكبر، متفوقين عليها في العدد والعدة والعتاد؟ تهدف الدراسة إلى المساهمة في الإجابة عن السؤال البحثي المستمر بشأن كيفية تمكُّن الأطراف الأقل عددًا والأضعف تسليحًا، أو الفئة القليلة، من تحقيق الغلبة عسكريًا، وليس سياسيًا أو إعلاميًا فقط. ففي عصر باتت فيه الحرب اللامتناظرة هي نوع الحرب المُتوقع والمستشرف، فإن فهم أساليب القتال التي تُمكِّن القوّات الأصغر من الصمود أو الانتصار يكتسب أهمية بالغة لدى المحللين الاستراتيجيين والقادة العسكريين وصنّاع القرار السياسي على حدٍّ سواء. تعرف الدراسة للمرة الأولى مفهوم "الدفاع الهجين"، وتساهم في تعريف معدل لمفهوم "الأسلحة المشتركة في المجالات المتعددة"، وتختبر علاقتهما بمفاهيم "الفاعلية العسكرية" و"الفاعلية القتالية". ثم تُحلّل بعضًا من فنون العمليات والتكتيكات التي توظِّفها القوّات الأصغر نسبيًا، كحالة القوّات العسكرية والأمنية الأوكرانية، وكذلك القوّات غير الدولتية كحالة فصائل المقاومة الفلسطينية في غزة، لمواجهة خصوم أكثر عددًا وعتادًا. وتستخلص الدراسة سبعة دروس مستفادة، وتختتم بتداعياتها المقارنة على السياسات الدفاعية للدول الصغيرة في المنطقة العربية وخارجها.

كلمات مفتاحية: الدول الصغيرة، أوكرانيا، غزة، الدفاع الهجين.

If deterrence fails and diplomacy falters, how can small states defend themselves against adversaries that outnumber, outgun and outmatch them? This study seeks to contribute to the ongoing scholarly discourse on how "the few" can achieve a military upset - not just a political or a propaganda one - against "the many." In an era where asymmetric war has become the most anticipated type, understanding the innovative ways of warfare that enable the smaller forces to endure and even prevail is of paramount importance to strategic analysts, military commanders, and policymakers alike. To do so, the study coins a definition for the concept of "Hybrid Defence," contributes a new definition of "Multi-Domain Combined Arms Operations" and examines their correlations with, and impacts on, "Military Effectiveness" and "Combat Effectiveness." It then analyses selected operational arts and tactical adaptations employed by the relatively smaller forces - such as the Ukrainian Military and Security Forces, as well as nonstate forces, exemplified by the Palestinian Resistance Factions in Gaza - for confronting numerically and technologically superior adversaries. The study extracts seven key lessons and concludes with their comparative implications for the defence policies of small states, particularly in the Arab world and beyond.

Keywords: Small States, Ukraine, Gaza, Hybrid Defence.

* أستاذ الدراسات الأمنية والعسكرية، معهد الدوحة للدراسات العليا، وباحث ومدير وحدة الدراسات الاستراتيجية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
Professor of Security and Military Studies, Doha Institute for Graduate Studies, and Researcher and Director of the Strategic Studies Unit, the Arab Center for Research and Policy.
Email: omar.ashour@dohainstitute.edu.qa

مقدمة: "الفئة القليلة": كيف تغلب أو تصمد عسكريًا؟

إن فشل الـردعُ وتَـعثرت الدبلوماسية[1]، كيف يمكن أن تدافع الدول الصغيرة عن نفسها في مواجهة خصوم أكبر، متفوقين عليها في العدد والعدة والعتاد؟ في عصرٍ باتت فيه الحرب اللامتناظرة Asymmetric War هي نوع الحرب المتوقع والمستشرف، فإن فهم أساليب القتال التي تُمكِّن القوّات الأصغر من الصمود أو الانتصار يكتسب أهمية بالغة لدى المحللين الاستراتيجيين والقادة العسكريين وصنّاع القرار السياسي على حدٍّ سواء. تُحلّل هذه الدراسة بعضًا من فنون العمليات Operational Arts والتكتيكات التي توظِّفها القوّات الأصغر - مثل القوّات العسكرية والأمنية الأوكرانية، وكذلك القوّات غير الدولتية مثل فصائل المقاومة الفلسطينية في غزة - لمواجهة خصومٍ أكثر عددًا وعتادًا، وأحيانًا تحقق بها انتصاراتٍ غير متوقعة عليهم[2].

تهدف الـدراسـة إلى استخلاص دروس متعلقة بالفاعلية القتالية Combat Effectiveness والفاعلية العسكرية Military Effectiveness، وكذلك التداعيات الاستراتيجية على السياسات الدفاعية للدول الصغيرة في المنطقة العربية وخارجها. وتُعَدّ هذه الدراسة جزءًا من مشروع بحثي أشمل، يستقصي كيفية تكيّف القوى الأصغر وابتكاراتها في مواجهة خصومٍ أكبر عبر أنحاء العالم، مُقدِّمًا رؤى جديدة حول المشهد الاستراتيجي المتغيِّر في الحروب المعاصرة، وتداعياته على سياسات الدفاع والأمن القومي العربي. وتهدف كذلك إلى المساهمة في الإجابة عن السؤال البحثي المستمر بشأن كيفية تمكُّن الأطراف الأقل عددًا والأضعف تسليحًا، أو الفئة القليلة[3]، من تحقيق الغلبة عسكريًا، وليس سياسيًا أو إعلاميًا فقط.

وعلى الرغم من الاختلافات الجوهرية على مستوى الأبعاد كافة، واجهت القوّات العسكرية والأمنية الأوكرانية وفصائل المقاومة الفلسطينية في غزة بقيادة كتائب عزّ الدين القسّام (الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية "حماس") موقفًا متشابهًا: التفوق العددي والناري لخصمٍ أكبر وأكثر تطورًا في جميع مجالات العمليات السبعة[4]. ومع ذلك، نجحت هاتان القوتان في إلحاق خسائر فادحة بالقوّات المهاجمة الأكبر حجمًا، وقوّضت قدراتها و/ أو إرادتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية المعلنة. ولا تركِّز الدراسة على هاتين الحالتين تفصيلًا؛ فذلك جزءٌ آخر من المشروع البحثي الأوسع. وإنما تركز على استخلاص الدروس المستفادة من العمليات القتالية لكلٍّ من القوّات العسكرية والأمنية الأوكرانية والمقاومة الفلسطينية في غزة، قد تستفيد منها دول صغيرة في العالم العربي وخارجه في سياساتها الدفاعية.

تجادل الدراسة بأنّ القوّات المسلّحة الأوكرانية والمقاومة الفلسطينية في غزة لجأتا إلى استراتيجية "دفاع هجين" Hybrid Defence Strategy (سوف نعرفه لاحقًا)، تضمَّنت استخدام تكتيكات وتقنيات وإجراءات عبر أربعة مجالات/ نطاقات عملياتية أو أكثر، وقد أدى ذلك إلى تعزيز فاعليتهما العسكرية والقتالية، وتخفيف آثار أحجام القوّات المناوئة وتفوق معداتها. وأدى الدفاع الهجين إلى إطالة فترة صمود القوّات الأصغر والأضعف نسبيًا. ويظلُّ تأثير هذا النوع من الدفاع في استنزاف القوّات الأكبر غير حاسم. ففي حين سمحت الاستراتيجية للقوّات الأصغر باستنزاف القوّات الأكبر عسكريًا (وليس سياسيًا فقط)، فإنّ النتائج الإجمالية للاستنزاف والخسائر ظلت مقبولة من القوّات الأكبر حتى وقت كتابة الدراسة.

قبل المُضي قدمًا، لا بدّ من الإشارة إلى بعض الاعتبارات المنهجية. أولًا، لا تركّز الدراسة على تحليل العمليات القتالية بقدر ما تركّز على استخلاص الدروس منها وتبسيطها[5]. ثانيًا، لا تهدف الدراسة إلى كتابة تاريخٍ عسكري للحربين بين عامَي 2014 و2024، بل تستعرض بعض الابتكارات العملياتية من أجل إبراز دروس محددة. مع ذلك، يظلّ التأريخ النقدي للعمليات القتالية في كلٍّ من أوكرانيا وغزة ثغرةً بحثية مهمة في أدبيات حقلَي دراسات الحرب War Studies والتاريخ العسكري Military History. وأخيرًا، يبقى التركيز منصبًّا على الدروس التي يمكن أن تفيد الدول الصغيرة في سياساتها الدفاعية والأمنية.

---

1 شهد العالم 63 حربًا بين دول Interstate Wars خلال الفترة 1946-2005، انتهى 16 في المئة منها فقط باتفاق سلام، لتنهار حوالى 4 من كل 10 اتفاقيات سلام (37 في المئة) لاحقًا خلال الفترة 1975-2018، مع تجدّد الحرب بين الأطراف ذاتها. ينظر:
Tim Sweijs & Mattia Bertolini, "How Wars end War Terminations: Insights for the Russia-Ukraine War," *The Hague Centre for Strategic Studies* (May 2022), accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/bdz2u8ns; Dan Reiter, *How Wars End* (Princeton: Princeton University Press, 2009); Virginia Page Fortna, *Peace Time: Cease-Fire Agreements and the Durability of Peace* (Princeton: Princeton University Press, 2004).

2 كان مشروعي البحثي هذا يفصلُ بين الحالتين في صورته الأولية، وأستغلُ الفرصة هنا لأشكر الدكتور محمد المصري، المدير التنفيذي للمركز العربي، على فكرة المقارنة بين الحالتين في أوكرانيا وغزة خلال نقاشنا لهذا بعد عملية "طوفان الأقصى" في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

3 ورد التعبير في الآية القرآنية الكريمة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 249)، وذلك في سياق الحديث عن معركة طالوت وجنوده (الفئة القليلة) ضد جيش جالوت (الفئة الكثيرة).

4 وهي مجالات البر، والبحر، والجو، والفضاء، والمعلوماتي، والإلكتروني، والسيبراني، وتدمجها وزارة الدفاع الأميركية في خمسة مجالات فقط هي: البر والبحر والجو والفضاء والمجال السيبراني (يشمل الأخير كلًّا من المجال المعلوماتي والإلكتروني/ الكهرومغناطيسي حيث تتداخل الأبعاد والوظائف لكل منهما).

5 يُعدّ الجيش الأوكراني مثالًا لقوة دولتيّة أصغر، بينما تمثّل كتائب القسّام في غزة مثالًا لقوة غير دولتيّة أصغر.

تتوزع الدراسة على خمسة أقسام. يستهل القسم الأوّل بوضع تعريف علمي لـلدفاع الهجين وربطه بمفهومَي "الفاعلية العسكرية" و"الفاعلية القتالية"، مع مراجعة بعض الأدبيات ذات الصلة. ويستعرض القسم الثاني مسار التطوّر في الدفاع الهجين لدى القوّات العسكرية والأمنية الأوكرانية استنادًا إلى مراحل الحرب بين عامَي 2014 و2024. في حين يقدِّم القسم الثالث قراءةً للتكيّفات الدفاعية الهجينة لدى كتائب القسّام في غزة وغلافها، استنادًا إلى نماذج من العمليات القتالية في عامَي 2023 و2024. أمّا القسم الرابع فيستخلص دروس الدفاع الهجين الأساسية لقوّات الدول الصغيرة. ويلخص القسم الخامس التداعيات الاستراتيجية.

أولًا: الدفاع الهجين: تعريف المفهوم

تُعدّ فكرة "الحرب الهجينة" قديمةً قِدَم الحرب نفسها على الأرجح. فقبل الميلاد، أشار المنظِّر والقائد العسكري الصيني الشهير، صن تزو، إلى بعض عناصر المفهوم بتأكيده أهمية الحرب المعلوماتية والنفسية: "إنّ قمة التميُّز تكمن في كسر مقاومة العدو من دون قتال"[6]. ولعلّ صن تزو كان لينبهر بالغزو الروسي لشبه جزيرة القرم عام 2014، حين احتُلت أهم منطقة جيوستراتيجية في أوكرانيا، ثم ضُمّت رسميًا بلا مقاومة مسلحة تُذكر تقريبًا[7]. وفي القرن التاسع عشر، سلّط المنظِّر العسكري البروسي الشهير كارل فون كلاوزفيتز - المعروف أكثر بتنظيراته حول ما يعرف بـ "الحرب التقليدية"[8] - الضوء على أهمية الاختراق والعمليات المعلوماتية والاستخباراتية[9]. وفي القرن الحادي والعشرين، جادل جيمس ماتيس وفرانك هوفمان بأنّ الفاعلين الأقوى سوف يضطرون إلى دمج أنماطٍ وأساليب متعددة من الحرب - أو ما عُرِف لاحقًا بـ "الحرب الهجينة" - لتقليل تكاليفهم[10]. وفي عام 2007، توسّع هوفمان في شرح هذا المفهوم وتطبيقاته، مشيرًا إلى دمج أنماط الحرب التقليدية وغير النظامية والمعلوماتية والإلكترونية والسيبرانية[11]. وقد استخدم باحثون وممارسون آخرون مصطلحات مختلفة، لوصف الظاهرة نفسها أو أبعادًا مختارة منها أو أساليب محدّدة للقتال المركب نفسه[12]؛ وذلك مثل مصطلحات "الحرب غير الخطّية" Non-Linear Warfare، و"الحرب الحدية" Liminal Warfare، و"النهج غير المباشر" Indirect Approach، و"عمليات المنطقة الرمادية" Grey Zone Operations. وأضاف المنظّرون العسكريون الصينيون المعاصرون مصطلحات مثل "الحرب غير المقيّدة" Unrestricted Warfare[13]، و"الحرب الثلاثية" The Three Warfares، إلى معجم الأدبيات[14]، بينما استخدم محلّلون وممارسون عسكريون روس مصطلح "حرب الجيل الجديد" New Generation Warfare[15]. وقد اعتمد عدد من الباحثين الغربيين (ثم دحضوا) مصطلح "عقيدة غيراسيموف" Gerasimov Doctrine[16]. وهو مصطلح مثير للجدل سُمّي باسم الجنرال فاليري غيراسيموف، المنظر العسكري ورئيس هيئة الأركان العامة الروسية، وذلك لوصف "حرب الجيل الجديد" الروسية وأحيانًا أبعاد محددة منها فقط.

واستنادًا إلى هذه الخلفية، وفي سياق حصر نطاق هذه الدراسة، أُعرِّف الدفاع الهجين بأنّه **استراتيجية دفاعية تتبنّى توظيفًا مشتركًا لتقنيات**

6 Sun Tzu, *Art of War* (London: Oriental Books, 1994), p. 26.

7 Kent De Benedictus, *Russian 'Hybrid Warfare' and the Annexation of Crimea: The Modern Application of Soviet Political Warfare* (London: I.B. Tauris, 2021).

8 إنّ التصنيفات من قبيل "تقليدية" و"غير تقليدية"، و"حرب عصابات/ مغاوير"، و"نظامية"، و"غير نظامية"، وغيرها، ليست سوى أُطُر نظرية تُبَسِّط أساليب حرب معقدة وعمليات عسكرية مُركّبة لأغراض التحليل. وفي الواقع الميداني، تختلط هذه التصنيفات والأنماط التجريدية وتتداخل، وتشكّل جزءًا من استراتيجيةٍ كليّةٍ تهدف إلى تحقيق الفاعلية العسكرية بتكلفة أقل.

9 Carl von Clausewitz, *On War*, Michael Howard & Peter Paret (ed. & trans.) (Princeton: Princeton University Press, 1976), pp. 117-121, 479-483.

10 James N. Mattis & Frank G. Hoffman, "Future Warfare: The Rise of Hybrid Wars," *U.S. Naval Institute Proceedings,* vol. 131, no. 11 (November 2005), pp. 18-19.

11 Frank G. Hoffman, "Conflict in the 21st Century: The Rise of Hybrid Wars," *Potomac Institute for Policy Studies* (December 2007).

12 للاطّلاع على تاريخ هذا المصطلح وتعريفاته، ينظر:
M. A. Weiss, "The Evolution of 'Non-Linear Warfare' in Russian Military Doctrine," *Journal of Strategic Studies*, vol. 42, no. 2 (2019), pp. 312-330; G. N. Jackson, "Defining Liminal Warfare: The UK's Approach," *RUSI Journal*, vol. 163, no. 2 (2021), pp. 22-32; B. H. Liddell Hart, *Strategy: The Indirect Approach* (London: Faber & Faber, 1941); Michael J. Mazarr, *Mastering the Gray Zone: Understanding a Changing Era of Conflict* (Carlisle Barracks, PA: U.S. Army War College Press, 2015); David Kilcullen, *The Dragon and the Snakes: How the Rest Learned to Fight the West* (Oxford: Oxford University Press, 2020); Lawrence Freedman, *The Future of War: A History* (New York: Public Affairs, 2017); Tarik Solmaz, "'Hybrid Warfare': One Term, Many Meanings," *Small Wars Journal*, vol. 25, 25/2/2022, accessed on 10/12/2023, at: https://tinyurl.com/bdh4emkn

13 Liang Qiao & Xiangsui Wang, *Unrestricted Warfare* (Beijing: PLA Literature and Arts Publishing House, 1999).

14 Stefan Halper, *China: The Three Warfares*, (Washington, DC: Office of the Secretary of Defense for Net Assessment, 2013).

15 Valery Gerasimov, "The Value of Science is in the Foresight: New Challenges Demand Rethinking the Forms and Methods of Carrying Out Combat Operations," *Military Review* (January-February 2016), pp. 23-29.
(نُشر في الأصل بالروسية في *Military-Industrial Kurier* بتاريخ 27 شباط/ فبراير 2013)؛

16 Mark Galeotti, "I'm Sorry for Creating the 'Gerasimov Doctrine'," *Foreign Policy*, 5/3/2018, accessed on 13/8/2021, at: https://tinyurl.com/y5ytmx2k

وتكتيكات وإجراءات القوتين "الصلبة" و"الحادة" وذلك في أربعةٍ أو أكثر من مجالات العمليات السبعة، بهدف تعزيز الفاعلية القتالية أو العسكرية للقوّات أثناء مناورات دفاعية معلوماتية-صلبة.

وبالنظر إلى طبيعة القوة الحادّة[17]، يُعدّ المجال المعلوماتي وتسليح الموارد المدنية Weaponization of Civilian Resources ركنين أساسيين في أيّ استراتيجية للدفاع الهجين؛ ما يُضفي التباسًا على الخطوط الفاصلة بين "القوّات النظامية" و"غير النظامية". ويمكن أن توظَّف استراتيجيات الدفاع الهجين دولةٌ أو فواعل غير دولتية أو تحالف يجمع بين قوّات دولتية وغير دولتية. وغالبًا ما تشكّل الفواعل المسلحة غير الدولتية Armed Nonstate Actors، والفواعل "المدنية ذات الاستخدامات العسكرية" Weaponised Nonstate Actors، عنصرًا أساسيًا وأحيانًا حاسمًا، في أيّ استراتيجية دفاع هجين ناجحة. وقد تشمل هذه الفواعلُ المتمردين على النظام القائم، أو الميليشيات الموالية للنظام القائم، أو تشكيلات المقاتلين الأجانب، أو تشكيلات المرتزقة، أو الشركات العسكرية والأمنية الخاصة[18]. وتتعدد أنواع التحالفات بين الدولة وما دونها من فواعل؛ إذ تراوح بين تحالفات تكتيكية وعملياتية قصيرة الأجل، مبنية على تلاقٍ مصلحي محدود، وصولًا إلى تحالفات استراتيجية طويلة الأمد على أسس أيديولوجية أو عقائدية متينة، أو على علاقات "وكالة" مباشرة قد تصل إلى الاندماج المؤسَّسي (ولو بصورة رمزية) ضمن القوّات المسلحة الرسمية للدولة. أمّا "الفواعل المدنية ذات الاستخدامات العسكرية"، فهي كيانات وأفراد ليسوا بالضرورة مسلحين؛ غير أنّ لهم دورًا جوهريًا في الدفاع الهجين (وفي الحرب الهجينة بصورة عامة)، مثل قراصنة السايبر، والمنظّمات "المدنية" التي تكون واجهة مزيفة أو ترفع علمًا مزيفًا False-Flag/False-Front وتهدف إلى تحقيق هدف عسكري في دولة الخصم، أو شبكات التهريب والاتجار بالبشر.

يمكن تطبيق الدفاع الهجين في أيّ مجال أو ساحة تقريبًا، إلا أنّ فاعليته تتضاعف عند تفعيله في أربعة مجالاتٍ عملياتية أو أكثر بالتوازي[19]، هي: المجال البري، والمجال المعلوماتي/ الاستخباري، والمجال السيبراني، والمجال الإلكترومغناطيسي (اختصارًا الإلكتروني). ولا تقلّ مجالات الجو والبحر والفضاء أهميةً عن ذلك، ولكن المجالات الأربعة الأولى تبقى مرتكزًا محوريًا لتحقيق الفاعلية العسكرية[20]. وعادةً ما يبلغ أثر الدفاع الهجين ذروته على قوّات الخصم في البيئة الحضَرية والمناطق العمرانية؛ إذ تتطلّب استراتيجيات الدفاع الهجين شبكات اتصالات، وبنية تحتية مدنية معقَّدة، فضلًا عن شريحة سكانية ذات أهمية ديموغرافية وتعليم تقني وتكنولوجي مناسب. وتتوافر هذه الشروط البنيوية في المدن وضواحيها أكثر من البلدات، وفي البلدات أكثر من القرى والمناطق النائية.

أمّا الخطط العملياتية وتكتيكات الدفاع الهجين، فيفوق عددها الألف وفئاتها/ تصنيفاتها بالعشرات[21]، وهي متغيّرة ومتطوّرة باستمرار. وأعرضُ فيما يلي أمثلةً تطبيقية مستقاة من الحروب على أوكرانيا وغزة، ومنها ما يمكن تسميته هنا بـ "التصعيد الأفقي غير الدولتي" Nonstate Horizontal Escalation؛ أي تسليح فواعل/ قوّات غير دولتية وتعبئتها داخل مناطق العمليات وخارجها، وتكوين تحالفات مع منظمات مسلحة متمرّسة قتاليًا وتعزيز قدراتها العسكرية واستقطاب مقاتلين جدد لها، سواء أجانب أو محليين. وعادةً ما تتبنّى استراتيجيات الدفاع الهجين أسلوب "التسليح" أو التوظيف العسكري للبنية المدنية الحضرية Urban Terrain، عبر تكييف البنية التحتية، وتصميم خطوط للدفاع في العمق، وخلق تضاريس وطبقات تحت الأرض Subterranean Defence-in-Depth. هذا إضافة إلى تنفيذ مناورات متعددة المجالات بأسلحة مشتركة (نعرفها لاحقًا)، لتشمل مجال المعلومات/ الاستخبارات.

17 Christopher Walker & Jessica Ludwig, "The Meaning of Sharp Power: How Authoritarian States Project Influence," *Foreign Affairs*, 16/11/2017, accessed on 1/8/2024, at: https://acr.ps/1L9zQsV; Christopher Walker & Jessica Ludwig, "From 'Soft Power' to 'Sharp Power': Rising Authoritarian Influence in the Democratic World," *National Endowment for Democracy Report* (December 2017).

18 أُميِّز هنا بين المقاتلين الأجانب والمرتزقة. فبينما يتحرّك الأوائل لإيمانهم بالقضية في حدّ ذاتها أو لدوافع أيديولوجية أو هويّاتية أو بسبب روابط شخصية وعائلية، وتكون الاعتبارات المالية لديهم ثانوية أو حتى معدومة، فإنّ ما يُحرّك المرتزقة على نحوٍ أساس هو الدافع المادي. ينظر مثلًا:

David Malet, *Foreign Fighters: Transnational Identity in Civil Conflicts* (Oxford: Oxford University Press, 2013); Thomas Hegghammer, "The Rise of Muslim Foreign Fighters: Islam and the Globalization of Jihad," *International Security*, vol. 35, no. 3 (Winter 2010- 2011), pp. 53-9; P. W. Singer, *Corporate Warriors: The Rise of the Privatized Military Industry* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2003); "International Convention against the Recruitment, Use, Financing and Training of Mercenaries," UN General Assembly Resolution 44/34, 4/12/1989; "the Additional Protocol I to the Geneva Conventions of 12 August 1949, adopted on 8 June 1977," Article 47 ("Mercenaries").

19 يمكن تنفيذ استراتيجية دفاع هجينة بأسلوبٍ تسلسلي كذلك، لكن من المرجح أن تكون أقل فاعلية من التنفيذ المتزامن.

20 ينظر مثلًا:

David G. Perkins, "Multi-Domain Battle: Driving Change to Win in the Future," *Military Review*, vol. 97, no. 6 (November-December 2017), pp. 8-15; وحول تنفيذ عملياتٍ متعددة المجالات بفاعلية على يد فاعلٍ غير دولتي، ينظر: عمر عاشور، **كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟ التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022).

21 لبعض أنواع التكتيكات وفئاتها وتصنيفاتها التي اعتمدتها قوةٌ غير دولتية، ينظر:

Omar Ashour, *How ISIS Fights: Military Tactics in Iraq, Syria, Libya and Egypt* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2021), pp. 60-63, 100, 142-144, 179-180, 206.

لكلّ ما سبق آثار مباشرة في الفاعلية القتالية والعسكرية. وأُعرّف الفاعلية القتالية هنا بأنها معيار أداء القوة القتالية على المستويين التكتيكي والعملياتي، مستندةً إلى جودة القوة وحجمها وهيكلها وقيادتها وروحها المعنوية وتسليحها وتدريبها وأساليب توظيفها وعوامل أخرى[22]. ويسعى المفهوم لقياس كفاءة القوّة في التعامل مع الأسلحة وتنفيذ التكتيكات والحفاظ على التماسك والتنسيق تحت النيران والابتكار والتكيّف خلال القتال. أمّا "الفاعلية العسكرية" فهي مفهوم أوسع نطاقًا؛ إذ يصف الأداء العسكري الشامل على المستوى الاستراتيجي، مع التركيز على مدى قدرة المؤسسة العسكرية على توظيف مواردها القتالية وغير القتالية بكفاءة لتحويلها إلى قوة عسكرية تحقق هدفًا أو أهدافًا استراتيجية أو استراتيجية-كبرى Grand-Strategic. وبصورة نهائية، يعكسُ المفهوم مدى قدرة المؤسسة العسكرية على ترجمة التوجيهات السياسية إلى نتائج عسكرية ناجحة.

وبعد تعريف هذه المفاهيم، يستعرضُ القسمان التاليان توظيف استراتيجيات الدفاع الهجين في أوكرانيا وغزة، مع الإشارة الموجزة إلى بعض أمثلة "الهجوم الهجين" المرتبطة بهما.

ثانيًا: كيف تُقاتل أوكرانيا؟ لمحة عامة عن الدفاع الهجين (2014-2024)

منذ البداية المُبكرة للحرب (الهجينة) في شباط/ فبراير 2014، واجهت أوكرانيا سلسلةً من التحدّيات العسكرية المترابطة نتج منها خسارات لأراضيها ومخاطر مستمرة على أمنها القومي وسيادتها ووجودها أيضًا. فعلى المستوى المتوسط Meso-level، نتجت تلك التحدّيات من سبعة متغيّرات سببيّة: حجم القوّات (نقص الأفراد)، وجودة القوّات (تدريب محدود، ومعنويات منخفضة، وقدرة محدودة على تنفيذ مناورات بالأسلحة المشتركة على مستوى وحدات كبيرة)، وتوليد القوّات (قدرات محدودة على التعبئة الكلية والجزئية والمتدرّجة)، ومحدودية خطوط الدفاع في الأراضي المستهدفة[23]، وضعف في المجالات العملياتية المهمة كالبحر والجو والمجال السيبراني والمجال المعلوماتي/ الاستخباري (أدّت الثغرات في المجال الأخير إلى اختراقات عديدة على المستويين الأمني والعسكري)، ومشكلة التزام الحلفاء (مستوى التزام منخفض يُترجم إلى قرارات متردّدة ومتأخرة)، وحلفاء غير دولتِيّين ذوي قدرات محدودة (تسليح متدنٍّ أو منعدم، ومستوى تنظيم منخفض). ولم يعمل أيّ من حلفاء أوكرانيا غير الدولتِيّين خارج حدود أوكرانيا لعام 1991. وفي إطار تطوير استراتيجية الدفاع الهجين الأوكرانية، عولِجَت هذه التحديات، بدرجاتٍ مختلفة من النجاح والإخفاق والتوقّف، بين عامَي 2014 و2024. وفيما يلي لمحة عامة عن الانعكاسات العسكرية لتلك التحديات.

على الرغم من كون أوكرانيا أكبر بلدٍ في أوروبا بعد روسيا الاتحادية[24]، فقد عانت مشكلات الدول الصغيرة وهمومها. ففي 20 شباط/ فبراير 2014، كانت القوّات العسكرية والأمنية أقلّ عددًا وتسليحًا في جميع مجالات العمليات بلا استثناء من القوّات الروسية. وفي شهرَي شباط/ فبراير وآذار/ مارس 2014، نفّذت القوّات الروسية عملية استخبارية - عسكرية متقنة: هجومًا هجينًا أفضى في النهاية إلى سقوط شبه جزيرة القرم الأوكرانية واحتلالها وضمّها رسميًا. استندت الاستخبارات والقوّات الأمنية الروسية إلى تكتيكاتٍ متعددة من "القوة الحادّة"، شملت منظمات "مدنية" مزيفة واجهةً لعمليات حشد وضغط وتعبئة لخدمة الهدف العسكري، وحملات دعائية وتضليلية مكثفة، وحربًا نفسية، إضافةً إلى اختراقات على مستوى كبار الضباط في المؤسستين العسكرية والأمنية الأوكرانيتين بهدف زعزعة الاستقرار[25]. ولتأمين مكاسبها الاستراتيجية بـ "القوة الصلبة"، شنّت القوّات الروسية عمليات اقتحام وإنزال جوي واسعة

22 لتعريفاتٍ أخرى، ينظر:
Ibid., pp.16-18; Stephen Biddle, *Military Power: Explaining Victory and Defeat in Modern Battle* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004); John Keegan, *The Face of Battle: A Study of Agincourt, Waterloo, and the Somme* (New York: Viking Press, 1976); Barry R. Posen, *The Sources of Military Doctrine: France, Britain, and Germany between the World Wars* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984); Allan R. Millett & Williamson Murray (eds.), *Military Effectiveness*, 3 vols. (Boston: Allen & Unwin, 1988); Martin van Creveld, *Command in War* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985).

23 في المناطق الحضرية، استُخدمت البنى التحتية السوفياتية المدنية تحت الأرض، بما فيها المواقع الصناعية مثل مجمّع "آزوفستال" للصلب في ماريوبول ومحطات المترو في كييف، بوصفها ملاجئ محتملة وخطوط دفاع حضرية. لكن الوضع اختلف كثيرًا في المناطق الريفية، لا سيّما في الجنوب (بمحاذاة القرم) وفي الشرق.

24 يجب تأكيد نسبية مفهوم "الدولة الصغيرة"؛ لأنه يعتمد على حجم الدولة المعادية وحجم ما جهّزته من قوّات في المواجهة.

25 De Benedictus, pp. 264-271; Omar Ashour, "How Putin's Army Fights like ISIS in Ukraine," *Middle East Eye*, 9/5/2022, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/hwnzujbd

حول مستوى الاختراقات، ينظر التقارير التالية:
"New Head of Ukraine's Navy Defects in Crimea," *BBC*, 2/3/2014, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/3jdb29tk; Ellen Nakashima, "Inside a Russian Disinformation Campaign in Ukraine in 2014," *The Washington Post*, 25/12/2017, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/3e8b92a8; Pavel Polityuk & Anton Zverev, "Why Ukrainian Forces Gave Up Crimea Without A Fight - and NATO is Alert," *Reuters*, 24/7/2017, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/yjwwmxse

النطاق، وعمليات برمائية بجنودٍ يرتدون بزّاتٍ من دون شارات مميِّزة أو علم دولة (أُطلق عليهم "الرجال الخضر الصغار")؛ وذلك لضمان الإنكار القابل للتصديق Plausible Deniability. وتُعَدّ العملية الروسية في القرم واحدةً من أنجح الهجمات الهجينة في تاريخ الحروب[26]؛ إذ كشفت عن أوجه القصور الأوكرانية في أربعةٍ من المتغيّرات السبعة المذكورة أعلاه، وهي: جودة القوّات، وضعف المجالات الحاسمة خاصةً مجال المعلومات الاستخباراتية (وتحديدًا أفرع مكافحة التجسس والدعاية المضادّة)، وضعف التزام الحلفاء، وغياب تسليح الوطنيين الأوكرانيين (من فاعلين غير دولتِيّين ومجتمع مدني) في القرم، وضعف تنظيمهم أيضًا.

وبعد القرم، كرّرت القوّات الموالية لموسكو عمليات هجومية هجينة مماثلة في عدّة مدن في شرق أوكرانيا وجنوبها، لا سيّما في إقليم الدونباس بدايةً من نيسان/ أبريل 2014 وما تلاه[27]. وقاد هذه العمليات ضبّاط روس في الجيش والأجهزة الأمنية الروسية، لعل أشهرهم العقيد المتقاعد إيغور"ستريلكوف" غيركين[28]. لكن نتائج هذه "الهجمات الهجينة" كانت بعيدةً عن النصر الروسي الكبير الذي تحقق في القرم. ففي مدن سلوفيانسك، وكراماتورسك، ودونيتسك، ولوهانسك، وماريوبول، وخاركيف، ودنـيبرو، وأوديسا، تفاوتت النتائج بين نجاح وفشل. وكان أوضح إخفاق قد حَدَث في خاركيف؛ إذ لم يصمد إعلان "جمهورية خاركيف الشعبية" أكثر من ثلاث عشرة ساعة ما بين 7 و8 نيسان/ أبريل 2014؛ فقد نجح الأوكرانيون الناطقون بالروسية في ثاني أكبر مدينة ناطقة بالروسية في أوكرانيا في إسقاط "الجمهورية" التابعة لروسيا بسرعة كبيرة، من خلال مزيج من المقاومة المدنية والعمل المسلح، النظامي وغير النظامي[29].

في عام 2014 وما بعده، كانت أوكرانيا تتكيف على نحوٍ تفاعلي، وتعالج تدريجيًا بعض نقاط الضعف المذكورة أعلاه بما في ذلك تسليح تشكيلات الناشطين المتطوعين المحلية، وتعزيز جهود مكافحة الدعاية Counterpropaganda ومكافحة التجسس واستخبارات الخصم Counterintelligence. وقد تضاءل عنصر المفاجأة - الذي كان مُضاعِفَ قوةٍ رئيسًا في القرم في شباط/ فبراير وآذار/ مارس 2014 - أثناء أحداث خاركيف في نيسان/ أبريل 2014؛ ما أثّر في فاعلية عملية الدفاع الأوكراني هناك. وفشلت العملية الهجينة الروسية في خاركيف؛ لأنها كانت بصعوبة "هجينة" بالمعنى المعرَّف سابقًا. فعلى النقيض من تجمّع القوّات الروسية الذي تجاوز 20 ألف جندي في شبه جزيرة القرم، كانت "القوة الصلبة" - سواء في شكل قوّات تقليدية أو قوّات غير نظامية - شبه معدومة في خاركيف. أمّا في مدن الدونباس وبلداتها، فحقّق الهجوم الهجين الذي نفذته قوّات أغلبها غير نظامي، ولكن بقيادة روسية نظامية أو نظامية -سابقة/ "متقاعدة"، نتائج متباينة؛ إذ نجح في مدينتي لوهانسك ودونيتسك، في حين تحوّلت النجاحات الأولية إلى فشلٍ في سلوفيانسك وكراماتورسك وماريوبول. وقد استُعيدت هذه المدن وغيرها إبّان الهجوم المضاد الأوكراني الأول في صيف 2014.

بين نيسان/ أبريل 2014 وشباط/ فبراير 2022، استثمرت أوكرانيا في تعزيز دفاعاتها الهجينة في شتى مجالات الحرب: البر والبحر والجو والفضاء والمجال الإلـكتروني والسيبراني والمعلوماتي/ الاستخباري. وشمل ذلك التنسيق الأولي، ثم الدمج النهائي، لتشكيلات المتطوعين المحليين المسلّحة ضمن إطار الحرس الوطني الأوكراني[30]، إضافةً إلى تعزيز قوّات الاحتياط (ما يعرف بـ "قوّات الدفاع الإقليمية")[31]، وزيادة كبيرة في موازنات الدفاع والأمن[32]، وتحديث المعدات وتعزيز أنشطة التدريب. وفي السياق الأخير، أُنشئت في نيسان/ أبريل 2015 مجموعة التدريب المتعددة الجنسيات المشتركة-أوكرانيا JMTG-U، التي درّبت حتى عام 2021 أكثر من 20 ألف جندي، خصوصًا في مركز التدريب القتالي في يافوريف قرب مدينة لفيف[33]. ومنذ عام 2015، خضع كل لواءٍ من ألوية المشاة والمدفعية والمدرعات[34] في أوكرانيا

---

26 ينظر:
"'Little Green Men': A Primer on Modern Russian Unconventional Warfare Ukraine 2013-2014," The United States Army Special Operations Command, Fort Bragg, 2022,, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/mv7udr7x

27 ثمّة نقاشٌ دائرٌ بين المحلّلين والمؤرخين العسكريين المختصّين حول إن كانت هذه العمليات قد بدأت بالتزامن مع شباط/ فبراير 2014 أم بعد ضمّ القرم في آذار/ مارس 2014.

28 Lawrence Freedman, *Command: The Politics of Military Operations from Korea to Ukraine* (London: Allen Lane, 2022), pp. 371-386.

29 أوليكساندر ف. دانييلوك Oleksandr V. Danylyuk، المستشار الرئيس السابق لوزير الدفاع الأوكراني، مقابلة شخصية، تالين، 2024/5/17. ولخلفية تاريخية، ينظر:
Natalia Shapovalova & Balázs Jarábik, "How Eastern Ukraine Is Adapting and Surviving: The Case of Kharkiv," Carnegie Europe, 12/9/2018, accessed on 12/8/2024, at: https://tinyurl.com/jvy447jb

30 س. إ.، مُقدم في الحرس الوطني الأوكراني NGU، مقابلة شخصية، كييف، تموز/ يوليو 2023؛ ف. ه.، عقيد في قوّات الاقتحام الجوي الأوكرانية DShV، مقابلة شخصية، كييف، تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

31 تاراس تاراسيوك وبترو بوركوفسكي وأليكسي غاران، "من مستضعفين إلى سادة حرب حديثة: تحوّل الحركات القومية الأوكرانية (2022-2023)"، **أوراق استراتيجية**، رقم 16، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024/5/12، شوهد في 2024/8/1، في: https://tinyurl.com/2s3zmcwt؛ أندري زاجورودنيوك Andriy Zagorodnyuk، وزير الدفاع الأوكراني السابق، مقابلة شخصية، وارسو، 2023/10/3.

32 المرجع نفسه؛ أندري زاجورودنيوك، وزير الدفاع الأوكراني السابق، مقابلة شخصية، كييف، 2023/7/15.

33 بن هودجز Ben Hodges، القائد العام السابق للجيش الأميركي في أوروبا، مقابلة شخصية، وارسو، 2024/10/1.

34 باستثناء وحدات القوّة الجوية والقوات البحرية والدفاع الجوي. ينظر: المرجع نفسه؛ س. إ.

لثلاث دوراتٍ تدريبية على الأقلّ، تحت إشراف مدرّبين أميركيين أو بريطانيين أو كنديين، مع انقطاع تلك الدورات نتيجة انخراط الألوية في جولات القتال في الدونباس، ثم استئناف التدريبات المتقدّمة بعد العودة[35]. وكذلك استثمرت أوكرانيا بين عامَي 2014 و2022 في القدرات الدفاعية السيبرانية والإلكترونية[36]، وأجرت عمليات فحص وتدقيق وتطهير في الأجهزة الأمنية والاستخبارات والعسكرية، لفصل بعض العناصر الموالية للكرملين وبعض مسؤولي الأمن الفاسدين أو مقاضاتهم. كانت جهود الإصلاح وتعزيز القدرات ضرورية، لتصميم استراتيجية الدفاع الهجين الأوكرانية ثم تطويرها، لحماية السيادة على الأراضي المتبقية للدولة الأصغر في هذا الصراع. إلا أنّ كل هذه الجهود لم تكن كافيةً لردع القوّات الروسية الأكبر حجمًا بفارقٍ كبير.

بحلول شباط/ فبراير 2022، وجدت أوكرانيا نفسها أمام مهمّة الدفاع عن نحو 3200 كيلومتر من الحدود البرية والبحرية مع روسيا وبيلاروسيا وشبه جزيرة القرم المحتلّة. وكحال الدول الصغيرة، تمّ التفوق الروسي، عددًا وعتادًا، في مجالات العمليات كلها. علاوةً على ذلك، وبسبب سوء التقدير الأوكراني لنقاط التوغل ومحاور تقدم الغزاة، نجحت القوّات الروسية في تحقيق نسب قوى عددية تجاوزت 5 إلى 1 في محاور الجنوب وأجزاء من محاور الشمال. فقد بلغت هذه النسب 10 إلى 1 في مقاطعة تشيرنيهيف (شمال شرق) إبان المعارك الشهيرة هناك[37].

بين شباط/ فبراير 2022 وتشرين الثاني/ نوفمبر 2024، مرّت الحرب على أوكرانيا بسبع مراحل، وكلها تحمل دروسًا مهمة للدول الصغيرة (أو الأصغر نسبيًا). وتعكس أهمية استراتيجية الدفاع الهجين التي اعتمدتها أوكرانيا منذ عام 2014 فصاعدًا. ففي شباط/ فبراير 2022، اخترقت الوحدات المدرّعة الروسية الدفاعات الأوكرانية في الشمال والجنوب؛ وبحلول نيسان/ أبريل - وهي نهاية المرحلة الأولى من الحرب - كانت أوكرانيا قد حرّرت أربع مقاطعات شمالية هي جيتومير وكييف وتشرنيهيف وسومي، فضلًا عن أجزاءٍ من مقاطعة خاركيف في شمال شرق البلاد. وقد أثمرت الاستثمارات في القوّات النظامية وقوّات الاحتياط والحرس الوطني، إلى جانب نوعية "التواصل الاستراتيجي" للقيادة السياسية، وجهود مكافحة الاختراقات الاستخباراتية منذ عام 2014، فضلًا عن توافر أعداد كبيرة من المدنيين ذوي الخبرة العسكرية والقتالية السابقة في الدونباس، وانتشارهم على نحوٍ عفوي وسريع للغاية في العاصمة والبلدات القريبة منها[38].

مثلًا، في شباط/ فبراير 2022، كان في حوزة فصيلة احتياط تابعة لقوّات الدفاع الإقليمي في مقاطعة كييف (تتألف من 27 جنديًا) أحد عشر صاروخًا موجهًا مضادًا للدروع ATGM، شملت منظومات جافلين الأميركية Javelin وإنلو البريطانية NLAW؛ ما يُمثّل عينة من النقلة النوعية مقارنةً بتسليح قوّات الاحتياط وتدريبها في شباط/ فبراير 2014[39]. وقد تمكّن جنود لواء الرد السريع الرابع في الحرس الوطني الأوكراني، إلى جانب عناصر من الفيلق الجورجي (متطوّعون جورجيون - أوكرانيون)، ووحدات أخرى، من استنزاف وتعطيل قوّات نخبة روسية مكونة من عناصر من وحدات مظليين VDV وقوّات خاصة Spetsnaz خلال معركة مطار أنطونوف الشهيرة في هوستوميل (مقاطعة كييف). وذلك قبل أن تدخل وحدات المدفعية النظامية التابعة للواء الميكانيكي 72 المعركة، وتُدمّر مدرج المطار وتزيد من تدهور القوة المهاجمة[40]. وأدى الانتصار الأوكراني في معركة هوستوميل (المعركة الأشمل في المقاطعة) إلى خفض التهديد القادم من الشمال الغربي للعاصمة كييف، وإفشال محاولة تطويقها.

وفي الشمال الشرقي، أثبتت الاستثمارات في الألوية المدرّعة التقليدية جدواها كذلك؛ إذ أدّت طواقم الدبابات دورًا محوريًا في استراتيجية الدفاع الهجين-في-العمق Hybrid Defence-in-depth الأوكرانية. فقد منحت الدبابات القوّات الأوكرانية مزيدًا من القدرة على الحركة مع الحماية والقوة النارية، في وقتٍ كانت فيه هذه القوّات تُطبّق أسس هذه الاستراتيجية بحذافيرها: الأرض مقابل الوقت، والحركة مقابل الاستنزاف. فهي تتخلّى عن أجزاء من الأرض لكي تُمنح بعض الوقت للاستعداد وتعتمد على المناورة لإطالة أمد، وزيادة حدة، استنزاف الخصم. وكعينة نوعية، نجح اللواء المدرع الأول (المعروف بلواء سيفيريا) في صمود أسطوري أمام وحدات مشتركة من جيش حرس الدبابات الروسي الأوّل وجيش الأسلحة المشتركة الحادي والأربعين، وذلك على الرغم من التفوّق العددي الروسي الساحق. ولم يكتفِ لواء سيفيريا بصدّ محاولة غزو مدينة تشيرنيهيف، إنما قوّض كذلك تقدُّم القوّات الروسية في اتجاه العاصمة كييف من محور شمال الشرق، كما أثخن في جيش حرس الدبابات الأول؛ ما جعله غير فعّال قتاليًا مؤقتًا[41].

35 هودجز.

36 دانييلوك.

37 المرجع نفسه؛ للمزيد من التفاصيل، ينظر:
David Axe, "How Ukraine's 1st Tank Brigade Fought a Russian Force Ten Times Its Size—And Won," *Forbes*, 25/12/2022, accessed on 27/12/2022, at: https://tinyurl.com/kwwjcyn9

38 س. إ.

39 أو. س. نقيب في قوّات الدفاع الإقليمية الأوكرانية (قوات الاحتياط)، مقابلة شخصية، كييف، 2023/11/2.

40 المرجع نفسه.

41 أدّى هذا التطور إلى إضعاف التهديدات التي تشكلها المنطقة العسكرية الغربية الروسية (Western Military District) على دول الناتو الصغيرة في أوروبا الشرقية.

وأظهرت المرحلة الأولى من الحرب مدى أهمية البنية التحتية (المدنية) تحت الأرض وتسليحها لعمليات الدفاع الـحضري[42]. وقد تجلى ذلك، في المقام الأول، في الدفاع عن ماريوبول، بقيادة اللواء السادس والثلاثين من مشاة البحرية وفوج "آزوف" للقوّات الخاصة[43]. وعلى الرغم من سقوط المدينة، فقد تمكّنت قوة تضم حوالى 4000 جندي أوكراني من إشغال تشكيل عسكري روسي بحجم فرقة من الجيش الثامن والخمسين للأسلحة المشتركة - وهو يُعدّ أفضل الوحدات الروسية أداءً في المرحلة الأولى من الغزو الشامل[44]. وبفضل التوظيف الفعّال للبنى التحتية الجوفية المدنية[45]، ظلّ أكثر من 15 ألف جندي روسي عالقين في قتالٍ عنيف ضد قوةٍ أوكرانية أصغر بكثير، داخل ماريوبول في مرحلة حاسمة من الحرب. وقد منع القتال إعادة انتشارهم وتوظيفهم للحسم في محاور الشمال (في اتجاه كييف) أو الشرق (في اتجاه كراماتورسك) أو جنوب الغرب (في اتجاه أوديسا). واستمرّ هذا الوضع حتى المرحلة الثانية، وصولًا إلى أيار/ مايو 2022.

أمّا المرحلة الثانية من الحرب، فقد استمرّت خلال صيف وخريف 2022، وتميّزت بمبارزات المدفعية الاستنزافية في الدونباس مع محدوديةٍ في المناورة. وقد أبرزت هذه المرحلة أهمية وجود تحالفاتٍ عسكرية موثوقة واستثماراتٍ مستدامة في الصناعات الدفاعية المحلية، لا سيّما في إنتاج قذائف المدفعية. وقد تفوّقت المدفعية الروسية تفوّقًا كميًا في هذه المرحلة؛ ما أدّى إلى سقوط مدينة ليسيتشانسك، تبعها سقوط مقاطعة لوهانسك برمّتها في تموز/ يوليو 2022. وكانت لوهانسك المقاطعة الوحيدة التي سقطت (مؤقتًا) كليًا تحت الاحتلال الروسي، منذ سقوط شبه جزيرة القرم - وهي جمهورية أوكرانية ذاتية الحكم - في آذار/ مارس 2014.

أما المرحلة الثالثة من الحرب، فدارت في خريف 2022، واتّسمت بسلسلة من الهجمات الأوكرانية المضادة، التي أدّت إلى تحرير معظم مقاطعة خاركيف إضافةً إلى تحرير مدينة خيرسون، العاصمة الإقليمية الوحيدة التي استولت عليها القوّات الروسية خلال الغزو الشامل في عام 2022. وقد أظهرت معركة تحرير خيرسون الدور الحاسم لأنظمة المدفعية الصاروخية الموجّهة الغربية الصنع، مثل منظومة الهيمارس M142 HIMARS. في حين كشف الهجوم المضاد في خاركيف عام 2022 عن الاحتياج الشديد إلى كم كبير من ناقلات الجنود المدرعة والمركبات القتالية المدرعة ومركبات المشاة القتالية والدبابات، وكذلك توفير إسنادٍ جوي قريب (على خطورته). وفي هذه المرحلة، كانت الوحدات المدرعة الأوكرانية مستنزفة وتعاني نقصًا في الإمدادات، ومع ذلك شنّت الألوية الميكانيكية الأوكرانية هجوم خاركيف المضاد بقوةٍ هجينة[46]، مستخدمةً سيارات مدنية رباعية الدفع وشاحنات خفيفة مدرّعة جزئيًا بشكل يدوي بدائي. وعلى الرغم من الطبيعة الهجينة للقوة المدرعة، فقد حققت "الاقتحامات الخاطفة" في عمق الأراضي المحتلة نجاحًا ملحوظًا، بزعزعة مؤخرات القوّات الروسية وقطع خطوط التواصل البري بينها. وبصورةٍ عامة، أكّدت المرحلة الثانية أهمية الاستثمار الواسع والطويل الأمد في التدريب والتجهيز لمناورات الأسلحة المشتركة، وأكدت تفوّق بعض المنظومات الغربية الصنع - لا سيّما في مجال المدفعية الصاروخية وقذائف المدفعية الأنبوبية - وذلك من حيث المدى والدقة والقدرة على الحركة السريعة والقوة النارية الدقيقة والكثيفة.

وقد أكّدت المرحلة الثالثة، شأنها شأن المراحل اللاحقة، مدى محورية عامل القوى البشرية (حجم القوة ومستويات معنوياتها)، وأهمية التجنيد المبكر وقدرات التعبئة السريعة. وبدرجةٍ أقل، سلطت المرحلة الضوء على أهمّية جودة القوّات من حيث التدريب والمعدات. فبسبب نقص القوى العددية تحديدًا، عجزت الوحدات الأوكرانية عن استثمار حالة الانهيار الروسي وتحرير الجيوب الباقية في مقاطعة خاركيف، أو تحرير بعض المواقع الضعيفة نسبيًا في شمال مقاطعة لوهانسك. لتتوقف العمليات في لوهانسك المحتلة، منهيةً المرحلة الثالثة بانتصارٍ عملياتي لأوكرانيا[47].

أمّا المرحلة الرابعة (شتاء 2022-2023) فشهدت حملة جوية روسية عنيفة، تسبّبت في أضرار بالغة في البنى التحتية المدنية الأوكرانية؛ ما أعاد إبراز أهمية أنظمة الدفاع الجوي المتحركة والكثيفة ومتعددة المدى، بالنظر إلى المساحة الجغرافية لأوكرانيا. وجاءت المرحلة الخامسة في ربيع 2023، لتبيّن أهمية القوّات غير الدولتية في إطار استراتيجية

42 أُناقش هذا البُعد من استراتيجية الدفاع الهجين في حالة كتائب القسّام في غزة في القسم التالي.

43 ماريًا شيخ Mariia Chekh، ضابطة الاتصال المسؤولة عن العلاقات الخارجية، اللواء الثاني عشر المنفصل للقوات الخاصة (آزوف) في الحرس الوطني الأوكراني NGU، مقابلة شخصية، زغرب، 2024/10/11.

44 يرجع ذلك إلى تنفيذه الاختراقات الكبيرة بنجاح والتقدّم السريع ثنائي المحور في الجنوب؛ في اتجاه الجنوب الغربي (خيرسون ومقاطعة ميكولايف)، والجنوب الشرقي (نحو ميليتوبول ثم ماريوبول).

45 إضافةً إلى مثابرة الأوكرانيين وارتفاع معنوياتهم وجودة قوّاتهم عمومًا.

46 تحديدًا، اللواءَين الميكانيكيَين 92 و93 وفوج كراكن، وكانت بقية الوحدات ألويةً خفيفة منقولة Motorised، بما في ذلك وحداتٌ من الحرس الوطني، وقوّات الدفاع الإقليمي (الاحتياط)، والفيلق الدولي، وكتيبة دوداييف (وحدة من قوات المعارضة الشيشانية/ ا الإيتشكيرية، وغيرهم.

47 في هذه المرحلة، افتقرت القوّات الأوكرانية أيضًا إلى دروع كافية وذخائر وإسناد جوي ملائم، إلا أنها نجحت في تنفيذ الهجوم المضاد عام 2022 في خاركيف على الرغم من ذلك. وظلّ عامل (نقص) القوة البشرية السبب الرئيس في محدودية استثمار النجاح العملياتي وتوسيعه.

"هجوم هجين" فعّال. فقد تركت مجموعة فاغنر Wagner Group بصمةً مهمّة، على الرغم من انسحابها شبه الكامل من أوكرانيا، بعد تمرّدها في حزيران/ يونيو 2023[48]؛ إذ استنزفت المجموعة، مع حلفائها في وحدات المظليين ووحدات المدفعية وسلاح الجو الروسي، بعض الألوية الأوكرانية الأكثر خبرةً وكفاءةً خلال معركة باخموت. ومع أنّ معدلات الاستنزاف البشري رجّحت كفّة أوكرانيا بنسبة خسائر متبادلة تقديرية Loss Exchange Ratio بلغت 5:1 لصالحها، فقد منحت معركة باخموت القوّات الروسية الوقت الكافي لتحسين دفاعاتها في الجنوب، استعدادًا لهجوم مضاد أوكراني متوقع في الصيف[49]. وفي نهاية تلك المرحلة، تمكنت مجموعة فاغنر غير النظامية من احتلال باخموت، محقّقةً انتصارًا عمليًاتيًا، بينما كانت القوّات النظامية الروسية تواجه صعوباتٍ في التقدم على بقية الجبهات في التوقيت نفسه.

وقد اتّسمت المرحلة السادسة بهجومٍ مضاد أوكراني في صيف 2023، لم يحقّق النتائج المرجوّة لأسبابٍ متعدّدة، لكنه أعطى أوكرانيا، وكذلك أيّ قوّةٍ تمثّل دولة صغيرة (أو أصغر نسبيًا) وتتابع الميدان، دروسًا قيّمة في الحرب الهجينة والتقليدية على حدٍّ سواء[50]. وفي حين تعثّرت العمليات البرية خلال تلك المرحلة، سجّلت أوكرانيا نجاحًا أكبر في المجال البحري. فقد اضطّرت قيادة أسطول البحر الأسود الروسي وبعض معدّاته إلى الانسحاب من القرم، بسبب مزيجٍ من الضربات الدقيقة القصيرة المدى وتكتيكات المركبات غير المأهولة فوق سطح البحر ("الدرونز" البحرية - USVs) وتحته (المركبات الغاطسة/ الغواصات الصغيرة غير المأهولة UUVs)[51]. ومن ثمّ من دون امتلاك قوة أسطول تقليدي، تمكّنت أوكرانيا عبر ما يعرف بـ "أسطول البراغيث" Flea Fleet وتقنيات الضرب عن بعد، شاملًا ابتكارات في تكتيكات المركبات غير المأهولة وتوظيفاتها، من إنزال خسائر كبيرة بالقوّات الروسية وإجبارها على إعادة تموضع استراتيجي لأسطولها في البحر الأسود. فقد انسحبت من القرم المحتلّة إلى نوفوروسيسك في روسيا الاتحادية وأوتشامتشير في أبخازيا (الانفصالية) بجورجيا. وسمح الانسحاب لأوكرانيا بتصدير ملايين الأطنان المتريّة من الحبوب والزيوت خلال موسم 2023-2024، وذلك عبر الجزء الغربي من البحر الأسود، بمعنى كسر الحصار البحري عسكريًا.

أخيرًا، دارت المرحلتان السابعة والثامنة من الحرب في ربيع وصيف 2024، وأسفرتا عن تقدّمٍ روسي جديد في جنوب الدونباس، تلاه هجومٌ مضادٌ أوكراني متعدد الألوية - صار في حجم فيلق للأسلحة مشتركة - نجح في احتلال أجزاءٍ من مقاطعة كورسك، غربي روسيا. وكما في الهجمات المضادة لعامي 2022 و2023، قدّمت عملية كورسك في آب/ أغسطس 2024 دروسًا مهمّة للطرف الأضعف، وسأوضّح ذلك في الأقسام اللاحقة من هذه الدراسة.

ثالثًا: كيف تُقاتل حماس؟ الدفاع الهجين في غزّة (2023–2024)

قادت كتائب عزّ الدين القسّام، في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، هجومًا متعدد المجالات بالأسلحة المشتركة في "غلاف غزّة". وقد مثلت عملية "طوفان الأقصى" مناورة اختراق هجومية نموذجية - كما تُدرّس في بعض كتب الدلائل الميدانية لقوّات مشاة وقوّات خاصة نظامية - اقتحمت خلالها كتائب القسّام "الجدار الحديدي" لإسرائيل. وكان الهجوم مفاجئًا؛ ما ضاعف من فتكه Lethality؛ إذ لم يكن قادة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية يتوقّعون هجومًا بهذا التعقيد والضخامة.

"مثلت عملية "طوفان الأقصى" مناورة اختراق هجومية نموذجية - كما تُدرّس في بعض كتب الدلائل الميدانية لقوّات مشاة وقوّات خاصة نظامية - اقتحمت خلالها كتائب القسّام "الجدار الحديدي" لإسرائيل. وكان الهجوم مفاجئًا؛ ما ضاعف من فتكه؛ إذ لم يكن قادة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية يتوقّعون هجومًا بهذا التعقيد والضخامة"

48 حول تمرد فاغنر، ينظر:
"Wagner: World Leaders React to Russian Insurrection," *Middle East Eye*, 24/6/2023, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/2s3z4cfh
ولخلفية تاريخية والأنشطة الدولية لمجموعة فاغنر، ينظر:
Jack Margolin, *The Wagner Group: Inside Russia's Mercenary Army* (London: Reaktion Books, 2024).

49 عدد الجنود الروس القتلى مقابل كل جندي أوكراني سقط، ينظر مثلًا:
"NATO Estimates Russia Lost 5 Times more Soldiers in Bakhmut than Ukraine," *CNN*, 6/3/2023, accessed 16/9/2024, at: https://tinyurl.com/28r7zk9z

50 لتحليلٍ شامل، ينظر: عمر عاشور، "من الهجوم المضاد إلى الغزو المضاد: كيف غزت القوات المسلحة الأوكرانية روسيا؟" **تحليلات استراتيجية**، رقم 9، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024/9/17، شوهد في 2024/10/1، في: https://tinyurl.com/3bs84st m

51 Sidharth Kaushal, "Ukraine's Naval Campaign and the Sinking of the Moskva: Implications for the War at Sea," *RUSI Commentary* (April 2022); Igor Delaneo, "Russia Black Sea Fleet in the 'Special Military Operation' in Ukraine," *Foreign Policy Research Institute Report* (February 2024), accessed on 1/8/2024, at: https://tinyurl.com/5n86dpvh

نُفّذ الهجوم كتسلسُل اختراقٍ تقليدي: إخماد وإعماء وتأمين وتقليص واقتحام، ولكن بقوّات غير نظامية، وبمعدات بعضها غير تقليدي. تمكنت كتائب القسّام من إخماد بعض منظومات الدفاع الجوي الإسرائيلية بصَلْياتٍ كثيفة من المدفعية الصاروخية غير الموجّهة. وفي الوقت نفسه، عمدت الكتائب إلى إعماء وحدات وكاميرات الرصد والاستطلاع الإسرائيلية، لمنع مراقبة نقاط الاختراق ومسارات التقدّم، وذلك عبر الدمج بين مسيّرات تجارية مسلّحة ووحدات القنص. لكنّ القسّام لم تستطع - أو لم ترد - تأمين نقاط الاختراق في الجدار الإسرائيلي؛ ما أتاح لتنظيمات أخرى ومدنيين مسلّحين الدخول إلى مستوطنات غلاف غزة، فازداد حجم القوة المهاجمة، ولكن في المقابل فَقَدت الكتائب جزءًا من السيطرة على عمليّتها[52].

نُفّذ الهجوم بتشكيلٍ قسامي في حجم لواء صغير، هاجم برًّا بقوة مشاة خفيفة ومحمولة في حجم كتيبة معززة أو فوج صغير، ومن البحر بوحدتي مشاة بحرية، ومن الجو بوحدة شراعيين صغيرة ومتحركة Motorised Paragliders. وكان المجال الاستخباري/ المعلوماتي حاضرًا في العملية، إضافة إلى المجال الإلكتروني[53]. ويُظهر التنسيق بين وحداتٍ متعددة في مجالات عمليات مختلفة مستوى متقدمًا من الفاعلية القتالية؛ وهو ما يتطلب تدريبًا مكثّفًا على القيادة والسيطرة والاتصالات بين الوحدات وداخل كل الوحدة. وتقديريًا، يحتاج هجوم كهذا إلى تدريب واستعدادات قد تستغرق أكثر من سنتين.

وفي 27 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، شنّت القوّات الإسرائيلية هجومًا برّيًا على قطاع غزة، عقب نحو ثلاثة أسابيع من الغارات الجوية. وبحلول نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2023، كانت القوّات الإسرائيلية قد نشرت ما يقارب 20 لواءً - ما يعادل أكثر من ست فرق نظامية - داخل قطاع غزّة. وعلى سبيل المقارنة التاريخية، فإن الجيش الإسرائيلي هَزم، في حزيران/ يونيو 1967، جيشًا مصريًا أكبر منه في سيناء خلال نحو 35 ساعة بتوظيف ثلاث فرق فقط[54]. وعلى مدار أكثر من عامٍ واحد، نفّذت كتائب القسّام استراتيجية دفاعٍ هجين في العمق؛ ما صَعّب على القوّات الإسرائيلية - المتفوّقة عددًا وعتادًا - تحقيق نصرٍ عملياتي، فضلًا عن نصرٍ استراتيجي[55]. وتقوم أعمدة الدفاع الهجين لدى كتائب القسّام على كثيرٍ من العناصر المشتركة مع ما طُبِّق في أوكرانيا، خلال المراحل الأولى والثالثة والخامسة من الحرب الشاملة التي بدأت عام 2022. وتشمل هذه العناصر: الدفاع في العمق تحت الأرض، وتسليح البيئة الحضرية، والتركيز على تكتيكات المشاة الخفيفة بما فيها فرق "قتل الدروع" والقناصة، وتسليح المسيّرات التجارية، وعقد تحالفات مع قوى غير دولتيّة إقليمية Regional Nonstate Forces، إضافةً إلى تنفيذ عمليات مكثّفة في المجال المعلوماتي/ الاستخباري. أمّا في المراحل الأُخرى للحرب الشاملة على أوكرانيا، فقد كانت أوجه التشابه أقل؛ نظرًا إلى تفاوت القدرات العسكرية بين القوّات المسلّحة الأوكرانية ZSU والحرس الوطني الأوكراني NGU وجهاز الأمن الأوكراني SBU وغيرها من المؤسسات العسكرية والأمنية الأوكرانية من ناحية، وفصائل المقاومة الفلسطينية من ناحية أخرى. ومع ذلك، مثّلت أوكرانيا وغزّة الطرف الأصغر المدافع (الأولى في إطار الدولة، والثانية في إطار تنظيمات دون الدولة).

أعـدّت كتائب القسّام بنيةً تحتية بالغة التعقيد ومزدوجة الاستخدام[56]، مثّلتْ خطوط دفاع حضرية متشابكة. وضمّت هذه الخطوط شبكات أنفاقٍ متعددة المستويات في محافظات غزّة الخمس[57]. ولِخَلق بيئة حضرية مُمكِّنة عسكريًا فوق الأرض، شملت التحضيرات مباني متصلة بممرات سرية، وفتحات لإطلاق الصواريخ في جدران المباني، ونقاط تحصن حضرية مترابطة، ومواقع مخصصة للقناصة، وحقول نيران متشابكة ومناطق قتل Kill Zones في

52 "وحدة الدراسات الاستراتيجية تناقش المنظورات العسكرية والاستخباراتية والإقليمية للحرب على غزة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/11/26، شوهد في 2024/10/7، في: https://tinyurl.com/bdd99y5j

53 عمر عاشور، "الأداء القتالي للقوات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (2023-2024)"، **تحليلات استراتيجية**، رقم 10، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024/10/7، شوهد في 2024/10/10، في: https://tinyurl.com/bdz7v22z؛ "The IDF is Accused of Military and Moral Failures in Gaza," *The Economist*, 11/4/2024, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/yc3h7zss; Jane Arraf, "Electronic Warfare is Interfering with GPS in Areas of Gaza," *NPR*, 16/4/2024, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/pnmpvjpa; "To See the Future of Urban Warfare, Look at Gaza," *The Economist*, 18/7/2024, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/3eedey44

54 أصبحت الألوية الإسرائيلية في عامَي 2023 و2024 أصغر عددًا، حيث كان يضم بعضها أقل من 2000 جندي، وهو ما يعادل حجم فوج في ستينيات القرن العشرين. وقد بلغ إجمالي القوى البشرية الإسرائيلية في غزة عند أقصى انتشار أقل من حجم القوة التي قاتلت في سيناء عام 1967 (نحو 70 ألف جندي إسرائيلي). ينظر: عمر عاشور، "هزيمة غير حتمية؟ الأداء القتالي على الجبهة المصرية"، في: **حرب حزيران/ يونيو 1967: مسارات الحرب وتداعياتها**، أحمد حسين (محرر) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 77-93.

55 تمثّلت الأهداف الاستراتيجية لحكومة نتنياهو في تدمير القدرات العسكرية لحماس وإسقاط حكمها في غزة وتحرير الرهائن. وبالنظر إلى مستويات الدمار المتعمّد، بدا الهدف الاستراتيجي غير المعلن هو جعل قطاع غزة غير قابل للعيش فيه، وبناء على ذلك جعل تهجير الفلسطينيين منه أمرًا حتميًا.

56 بمعنى تصلح للاستخدام المدني والعسكري.

57 Majd Abuamer, "Gaza's Subterranean Warfare: Palestinian Resistance Tunnels vs. Israel's Military Strategy," *Studies in Conflict & Terrorism* (May 2024), pp. 1-26; Adolfo Arranz et al., "Inside the Tunnels of Gaza the Scale, and the Sophistication, of Hamas' Tunnel Network," *Reuters*, 31/12/2023, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/2s47ean9

الشوارع والأزقة - التي يُحتَمل توغل قوّات الاحتلال فيها - لوحدات الهاون (مدفعية المشاة) ووحـدات "قتل المدرعات" (المسلحة بصواريخ موجهة أو غير موجهة). أما تحت الأرض، فقد مثّلت البنية التحتية هناك جوهر خطوط الدفاع لدى كتائب القسّام؛ إذ جرت مواءمتها كلّيًا مع استراتيجيتها للدفاع الهجين. وتضمّنت هذه البنية تحت الأرض ممرّات خفيّة بين النقاط الحصينة، وممرّات للتنقل تحت خطوط التواصل الأرضي بين القوّات الإسرائيلية وتحت محاور تقدّمها، إضافةً إلى أنفاق للتخزين وللوجستيات، وأنفاق للمقاتلين، وأنفاق أعمق للقيادات وأطر السيطرة. وأتاحت هذه التحضيرات لكتائب القسّام وغيرها من الفصائل تنفيذ استراتيجية دفاع هجين بمرونةٍ عالية؛ بحيث كان صمودها أكثر من عامٍ في مواجهة القوّات الإسرائيلية - التي تتمتع بتفوّقٍ ساحق في كل مجالات العمليات السبعة - أمرًا عسيرًا من دون هذه البنية، سواء فوق الأرض أو تحتها.

وقد أدّت شبكة الأنفاق المتعددة المستويات، تحت الأرض وفوقها، إلى توسيع نطاق ساحة المعركة الحضرية في غزّة، مانحةً المقاومة عمقًا استراتيجيًا غير تقليدي، سمح لها بالتراجع التكتيكي والتقدّم العملياتي عند الحاجة. وكان من العسير على القوّات الإسرائيلية تدمير - أو حتى تقليص - خطوط الاتصال بين وحدات القسّام وحلفائها من الفصائل الأخرى، الواقعة فوق الأرض أو تحتها. وقد منحت الأنفاق كتائب القسّام مرونةً في التنقّل وحمايةً لوحداتها، وعزّزت قدرتها على الفتك، بفضل عنصر المفاجأة في الغارات والكمائن؛ إذ تستطيع وحدات القسّام الظهور من مواضع غير متوقعة، بما فيها مناطق ومواقع يُعتقد أنّ القوّات الإسرائيلية قد سيطرت عليها وأخرجتها منها سابقًا. وحتى تاريخ كتابة هذه الدراسة، ما تزال مجمّعات الأنفاق العامل الرئيس المُمَّكِن للمقاومة الفلسطينية في غزّة من المناورة، في حين تشكّل الأنقاض التي أحدثتها القوّات الإسرائيلية عاملًا ثانويًا مساعدًا. وواجه جيش الاحتلال صعوباتٍ كبيرة في تدمير أو حتى تصعيب نمط مناورات كتائب القسّام الهجومية، القائم على الانتقال بين القتال فوق الأرض، ثم تحت الأرض، ثم العودة إلى القتال فوق الأرض مجددًا[58].

دفاعيًا، اعتمدت القسّام على مجموعات مشاة خفيفة راجلة - مكوّنة عادةً من 3 إلى 5 مقاتلين - وعلى عدد غير كبير من الصواريخ الموجهة المضادة للدروع، وأعداد أكبر من القذائف الصاروخية غير الموجّهة بعضها برؤوس ترادُفِيّة لهزيمة واختراق الدروع التفاعلية المركبة على دبابات الميركافا، وعلى بعض العربات المدرعة للمشاة الميكانيكية. وعلى الرغم من أن هذه المجموعات ذات حجم صغير وتسليح خفيف وصواريخ غير موجهة (في الأغلب)، فقد شكلت تحديًا كبيرًا للمدرعات الإسرائيلية وكذلك للمشاة الآلية والمترجلة. فعادةً ما كانت تشنّ هذه المجموعات الراجلة هجماتٍ على مسافاتٍ قريبة لا تتجاوز 50 مترًا؛ ما قلّص فاعلية أنظمة الحماية النشطة APS[59]. وقد جرى تقديم عدة تفسيرات لذلك، من قبيل أن النظام كان معطلًا، أو مستهلكًا ونفدت ذخيرته، أو لم يعمل ضمن هذه المسافات القصيرة لتجنب النيران الصديقة وإصابة جنود المشاة الإسرائيليين. وربما استخدمت كتائب القسّام بعض أنظمة الحرب الإلكترونية، للتشويش على أجهزة أنظمة الحماية النشطة للاستشعار أو تعطيل خطوط رؤيتها. كذلك، أدّت وحدات القناصة - سواء الخفيفة أو الخارقة للدروع - دورًا مهمًا، وإن كان أقل فتكًا مقارنةً بمدفعية الهاون والقذائف المضادة للدروع؛ إذ أعاقت عناصر قوّات المشاة الإسرائيلية المترجلةواستنزفتها، قبل أن تتحصّن قناصة المقاومة في الأنقاض أو الأنفاق.

وقد مثّلت التحالفات مع القوى غير الدولتيّة ركيزةً أخرى في استراتيجية الدفاع الهجين لحركة حماس، جزئيًا من خلال ما يمكن أن نسميه هنا "التصعيد الأفقي غير النظامي". فقد عقدت الحركة جملةً من التحالفات التكتيكية والاستراتيجية مع إيران وقوى غير دولتيّة مدعومة إيرانيًا في المنطقة[60]. ومع أنّه من المرجح أن هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر لم يكن منسّقًا مسبقًا مع حلفاء حماس، فإنّ "محور المقاومة" صَعّد أفقيًا في المنطقة بأكملها. فمنذ 8 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أخذت المواجهات بين حزب الله وحلفائه في جنوب لبنان وإسرائيل منحى تصاعديًا سريعًا، من حيث الحدّة والنطاق والوتيرة والمدة. وبحلول منتصف شباط/ فبراير 2024، كانت أعداد الصواريخ المطلقة من جنوب لبنان تتجاوز بانتظام ما يُطلق من غزّة. وفي شهرَي آذار/ مارس ونيسان/ أبريل 2024، وصلت وتيرة قصف حزب الله إلى قرابة مئة صاروخ يوميًا، مقتربةً من معدّل حرب تموز/ يوليو 2006 التي استمرّت 34 يومًا بمتوسطٍ بلغ نحو 120 صاروخًا غير موجّهٍ يوميًا. وحتى خريف 2024، ظلّت هذه المواجهات دون الارتقاء إلى مستوى حرب برية مع إسرائيل. كان التمركز الإسرائيلي على الحدود الشمالية

58 "خطة إسرائيلية لإغراق أنفاق غزة بمياه البحر.. الخبير العسكري عمر عاشور يكشف مدى واقعية هذه الفكرة"، التلفزيون العربي، يوتيوب، 2023/12/5، شوهد في 2024/10/7، في: https://tinyurl.com/4r29yex6؛ مأمون أبو جراد، "فشل الاستخبارات ودروس حرب غزة.. مقابلة مع عمر عاشور"، **تي آر تي عربي**، 2024/1/12، شوهد في 2024/10/7، في: https://tinyurl.com/29u4468z

59 "قتل المدرعات بالقذائف الترادفية والحارقة.. قراءة عسكرية لاستراتيجية المقاومة في مواجهة قوات الاحتلال"، **التلفزيون العربي**، يوتيوب، 2024/1/14، شوهد في 2024/10/7، في: https://tinyurl.com/2s3k75am

60 عمر عاشور، "تصاعد الفاعلية القتالية للتنظيمات المسلحة في العالم العربي وخارجه"، **أوراق استراتيجية**، رقم 2، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/8/17، شوهد في 2024/10/7، في: https://bit.ly/4eTnbpv

خلال شتاء وبداية ربيع 2024 يبدو دفاعيًا[61]، بتشييد خطوط دفاع في العمق، قبل أن يتبدل التمركز سريعًا إلى هجوم لتشنّ إسرائيل حملةً متعددة المجالات ضد حزب الله في لبنان[62].

لم يقتصر التصعيد بعد هجمات 7 تشرين الأول/ أكتوبر على جنوب لبنان فحسب؛ إذ شهدت الضفة الغربية تصاعدًا ملحوظًا في عمليات المقاومة. كما برز "أنصار الله" (المعروفون بالحوثيّين) طرفًا آخر من خارج الجبهات المباشرة في غزة وجنوب لبنان. فمنذ 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وجّه الحوثيون ضرباتٍ بعيدة المدى إلى إسرائيل، إضافة إلى هجماتٍ قصيرة المدى وحتّى إنزال جويّ، استهدفوا بكل ذلك سفنًا تجارية وأصولًا عسكرية بحرية في البحر الأحمر. وقد نتجت من هذه الهجمات غير الدولتيّة تأثيرات عسكرية، شملت ما يُعرف بـ "الإشارات الاستراتيجية" Strategic Signalling، والحرب النفسية، والعمليات المعلوماتية، إلى جانب استنزاف أنظمة الدفاع الجوي الإسرائيلية، وتثبيت عدّة فرق عسكرية في الشمال على الحدود اللبنانية، وإرسال قطع حربية بحرية أميركية وغربية إلى البحر الأحمر[63].

أخيرًا، ومنذ هجمات 7 تشرين الأول/ أكتوبر، شهد المجال المعلوماتي أنشطة مكثّفة، شملت توثيق الاشتباكات، والغارات، والكمائن، والمناورات، والعمليات النوعية مثل عمليات ضرب المدرعات وتعطيلها وعمليات القنص، وغيرها. وفي هذا المجال، تواصل التوظيف الدفاعي للوسائط الإعلامية بغية تعزيز الدعاية العسكرية، واستقطاب المجنّدين الجدد للقسام، وتعبئة الموارد من الأنصار طوال حرب غزّة. وقد أظهرت حماس تفوّقًا ملحوظًا في هذا المجال من بين مجالات العمليات، وفي استخدام "القوة الحادّة" نسبيًا. فقد نجح الإعلام العسكري لحماس في التأثير في البيئة الإقليمية - ليس في الأوساط العربية فحسب، بل خارجها أيضًا - وذلك على الرغم من خسائرها العسكرية وتدمير أجزاء واسعة من قطاع غزة. وفي سياق الإبراز التقليدي لقدرات القوّة الحادّة، وجّهت كتائب القسّام رسائل مباشرة إلى المجتمع الإسرائيلي؛ ما عمّق الشروخ والاستقطاب بين بعض شرائح المجتمع (وخاصةً أهالي الرهائن وداعميهم) وبين حكومة بنيامين نتنياهو وحلفائها (التي تبنت عمليًا أولوية القضاء على حماس وتدمير جناحها المسلح على تحرير الرهائن). وعلى الرغم من هذا الأداء في ميدان الحرب المعلوماتية، تبقى دراسة هذه العمليات في حاجة إلى أبحاثٍ إضافية لتحليلها وتقييم تأثيراتها النهائية. فبصورةٍ عامّة، لا تزال "القوّة الحادّة" واستخداماتها لدى القوّات غير الدولتيّة في إطار استراتيجيات الدفاع الهجين أجندة بحثية جديدة قيد الاستكشاف[64].

> شهد المجال المعلوماتي، منذ هجمات 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أنشطة مكثفة، شملت توثيق الاشتباكات، والغارات، والكمائن، والمناورات، والعمليات النوعية مثل عمليات ضرب المدرعات وتعطيلها وعمليات القنص، وغيرها. وفي هذا المجال، تواصل التوظيف الدفاعي للوسائط الإعلامية بغية تعزيز الدعاية العسكرية، واستقطاب المجنّدين الجدد للقسام، وتعبئة الموارد من الأنصار طوال حرب غزّة. وقد أظهرت حماس تفوّقًا ملحوظًا في هذا المجال من بين مجالات العمليات، وفي استخدام "القوة الحادّة" نسبيًا

رابعًا: دفاع الدول الصغيرة: سبعة دروسٌ ميدانية

تسلّط المراجعةُ أعلاه والملاحظات المقارِنة الضوءَ على سمات استراتيجيتَين من الدفاع الهجين، لجأ إليهما طرفان أصغر حجمًا وأضعف نسبيًا. وعلى الرغم من خصوصية بعض هذه السمات للحالتين

61 Amir Bar Shalom, "On both Sides of Gaza's Border, the IDF is Remaking Security from the (Under)Ground Up," *The Times of Israel*, 21/3/2024, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/2ekm6838

62 Emanuel Fabian, "IDF's New Mountains Brigade Drills Lebanon Invasion in First Exercise," *The Times of Israel*, 2/7/2024, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/2p8nk7ke

63 ينظر مثلًا:
Seth G. Jones et al., "The Coming Conflict with Hezbollah," *CSIS Briefs*, Center for Strategic & International Studies (March 2024), accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/23ktzus3; "Lebanon's Hezbollah Says it Launched Dozens of Rockets after Israeli Strikes," *Reuters*, 27/3/2024, accessed on 7/10/2024, at: https://tinyurl.com/38cav4rv

64 ينظر مثلًا:
Haroro J. Ingram, "Three Traits of the Islamic State's Information Warfare," *The RUSI Journal*, vol. 159, no. 6 (2014), pp. 4-11; Daniel Byman & Emma McCaleb, "Understanding Hamas and Hezbollah's Uses of Information-Technology," *CSIS Briefs* (July 2023), pp. 1-11, accessed on 23/12/2023, at: https://tinyurl.com/59hdrzen

الأوكرانية والغزّية، فإن الدروس الدفاعية المُستخلَصة قابلة للتطبيق، وقد تكون مفيدة في سياقات أخرى. يستخلص هذا القسم دروسًا يمكن توظيفها في سياسات الدفاع واستراتيجياته لدى الدول الصغيرة، مع التركيز على عاملَي حجم القوّات Force Size/ Manpower وجودتها Force Quality، إضافةً إلى بنية القوّات Force Structure، ومحورية الطبيعة الهجينة، لتشمل العمليات المتعددة المجالات Multi-domain وعمليات الأسلحة المشتركة Combined Arms، وكل ذلك بهدف تعزيز الفاعلية العسكرية.

1. الدرس الأول: الاستثمار في قوّات الاحتياط

عمومًا، تضطلع قوّات الاحتياط بدور محوري في أي استراتيجية دفاعٍ هجين لقوةٍ أصغر، سواء أكانت تلك القوة دولتيّة أم غير دولتيّة. وكما تُظهر النماذج والعيّنات الميدانية في أوكرانيا وغزة وغيرهما، توفِّر قوّات الاحتياط وحدات غير مكلفة لتضاعف حجم القوّات، وتعوّض بعض نقاط الضعف التي يفرضها اللاتناظر Asymmetry؛ ومن ذلك تعزيز قدرات التعبئة السريعة، وقابلية زيادة حجم القوة Scalability، ودعم الصمود الوطني، وتقديم أطر/ هياكل لوحدات مرنة وسريعة الاستجابة، والاستفادة من المهارات المهنية/ التخصصية لدى المدنيين في عدة مجالات عملياتية، ومن ثمّ مضاعفة كم القدرات ونوعها. ومن منظور الخصم، يعكس هذا كلّه جاهزية رادعة، أو قد تضفي أثرًا رادعًا. وقد أثّر كل ما سبق ذكره من عوامل في الفاعلية العسكرية في كلٍّ من أوكرانيا وغزة، كما ظهر في معارك مقاطعة كييف وغيرها بأوكرانيا، بينما اعتمدت غزّة على رصيدٍ واسع من الأفراد المدربين عسكريًا - ولو تدريبًا غير منتظم - ما ضاعف حجم قوّات المدافعين عن القطاع، حتى من دون الانضمام الرسمي إلى كتائب القسّام.

يهدف استثمار الدول الصغيرة في قوّات الاحتياط إلى تعزيز الكمّ والنوع معًا. فالحكومات المعنية، يمكنها أن تستفيد من بدايات التدريب المبكرة في الثانويات والجامعات، بحيث ينخرط الأفراد، في أدوار مختلفة، حتى بلوغهم سنّ التقاعد[65]؛ بما يمنح فترة زمنية طويلة لتعزيز المهارات وصقلها، وتكرار التدريبات، وتوسيع قاعدة الاحتياط وتنوُّعها. وعلى صعيد الجودة، تؤدي برامج التدريب الأساسي الشامل، والتدريبات "التنشيطية/ التذكيرية" المنتظمة، والتدريبات المتقدمة المتخصصة، ووجود هياكل قيادية وتنظيمية واضحة، إلى تسريع عملية التعبئة وتعزيز الكفاءة العملياتية. أمّا تبسيط إجراءات الاستدعاء أثناء عملية التعبئةٍ، التي جاءت عفويّة تقريبًا في المراحل الأولى من الحربين على أوكرانيا وغزة، فيزيد من سرعة الاستجابة خلال الأزمات الأمنية والدفاعية الطارئة. وختامًا، يساعد التعاون الدولي التفاعلي المستمر مع الحلفاء، وتبنّي أفضل الممارسات، على تحسين برامج تدريب وتوظيف قوّات الاحتياط، كما برهنت الحالة الأوكرانية بصورةٍ جليّة ما بعد عام 2014[66].

2. الدرس الثاني: التعبئة الذكية

تُظهِر المراجعةُ المقارنة أعلاه أنّ معضلة القوى البشرية/ العددية، وحجم القوّات، تركا آثارًا استراتيجية وعملياتية بالغة في كلٍّ من أوكرانيا وغزة. وانطلاقًا من كونها مشكلةً بنيوية تواجه الدول الصغيرة نسبيًا، فستستمر في تأثير ممتد Protracted Impact في الفاعلية العسكرية والنتائج المرحلية والنهائية للحروب. لذا، فإنّ "التعبئة الذكية" Smart Mobilization وتطبيقاتها، تُعَدّ درسًا مهمًا يهدف إلى معالجة بعض جوانب معضلة القوة العددية.

يشير مفهوم التعبئة الذكية إلى التوظيف الاستراتيجي والتفعيل الأمثل للأفراد، بمن فيهم الاحتياط والمجندون والمدنيّون العاملون في قطاعات الدفاع والأمن، على نحوٍ يزيدُ الكفاءة والجاهزية والاستغلال الأمثل للموارد الدفاعية. ويتمثل أحد الأبعاد الأساسية (والهجينة) للتعبئة الذكية في دمج المدنيين في الأدوار ذات التأثير العسكري، كالتحليل المعلوماتي والاستشرافي. وبإسناد مهمات التحليل الأمني والعسكري إلى مدنيين مدربين، يُتاح للجنود التركيز على الواجبات العملياتية والتدريبية؛ ما يعزّز حجم القوة العاملة والفاعلية العامة. وطُرحت هذه الفكرة أثناء الحرب على أوكرانيا لمعالجة معضلة القوة العددية؛ فقد أثبت العديد من المدنيين، بمن فيهم الإناث، امتلاكهم مهارات قيّمة في تحليل البيانات والأمن السيبراني والدراسات الأمنية والثقافية والإعلامية والصحافية والتاريخية والاجتماعية وتعدد اللغات؛ وهي مهارات مرتبطة مباشرةً بالمجال المعلوماتي للحرب. ومن خلال تكليف المدنيين المدربين بمهمات تحليلية، يمكن أن يخصص الجنود المزيد من الوقت للتدريب والاستعداد والعمليات الميدانية أو الراحة والعلاج، قبل إعادة الانتشار لجولة أخرى من القتال. ولأن معظم الدول الصغيرة لا تجند الإناث تجنيدًا إجباريًا، فإن معظم الوظائف التحليلية يمكن أن تقوم بها مُحللات مدنيات.

3. الدرس الثالث: البنية التحتية المُمَكَّنَة

كان لتوظيف تكتيكات الدفاع في العمق تحت الأرض Subterranean Defence-in-Depth سواء لدى الوحدات

65 بلغ متوسّط عمر الجندي الأوكراني في عام 2024، نحو 43 عامًا. ويزيد هذا المتوسط لدى قوات الاحتياط؛ زاجورودنيوك؛ ينظر أيضًا:
Andrew S. Bowen, "Ukrainian Military Performance and Outlook," *In Focus*, Congressional Research Service, 21/10/2024, accessed on 22/10/2024, at: https://tinyurl.com/5n74zbnp

66 زاجورودنيوك؛ هودجز.

الأوكرانية المدافعة عن مدينة ماريوبول[67]، أو لدى المقاومة الفلسطينية في المحافظات الخمس لقطاع غزّة، أثرٌ كبير في الفاعلية القتالية في مواجهة قوى أكبر، كما سبق شرحه. مع ذلك، فإن الحربين في أوكرانيا وغزة تثبتان أنه ينبغي تفادي القتال في المدن والمراكز الحضرية - إذا كان هذا خيارًا واقعيًا - سواءً من القوّات المهاجمة أو القوّات المدافعة. فمن جهة المهاجمين، سيؤدي القتال في البيئة الحضرية إلى تقييد وحدات كبيرة لفتراتٍ طويلة مع ارتفاعٍ شبه مؤكد في عدد الخسائر، وجميعها أمورٌ يصعب على القوّات الأصغر تحملها. أمّا بالنسبة إلى المدافعين، فإذا كانت المراكز الحضرية غير مهيّأةٍ مسبقًا، فستتحوّل البنية التحتية المدنية، مثل المستشفيات والمخابز ومرافق الطاقة والمياه والمدارس والجامعات والمباني السكنية، إلى "دروعٍ" للمدافعين عنها. وستتلقى هذه البنية التحتية الضربات عنهم، ولذلك ستستقبل القوة النيرانية للمهاجمين، سواء من البر أو الجو أو البحر. وقد يخلق تدمير هذه المرافق معضلات استراتيجية وأمنية ومجتمعية كبرى خلال الحرب وبعدها، ولا سيّما في الدول الصغيرة التي تتكوّن من عدد قليل من المدن والمراكز الحضرية.

من هنا، يعدّ الإعداد المسبق والتنظيم الجيّد للبنية التحتية المدنية درسًا بالغ الأهمية، ليس لحماية القوة المدافعة الأصغر حجمًا فحسب، وإنما أيضًا لحماية المراكز الحضرية ذاتها، سواء أكانت بلدةً أم مدينة. ويشمل الإعداد تمكين البنية التحتية وتسليحها، وتكييف منشآتٍ ومرافق مدنية مختارة لأغراض دفاعية في سياق استراتيجية دفاع هجين شاملة، وتوظيف البيئة الحضرية لتعزيز القدرات العسكرية بهدف إرباك خطة المهاجم؛ وهو ما بدا جليًا في معارك قطاع غزّة ومقاطعة كييف ومدينة ماريوبول. ويتضمّن "تسليح" البنية التحتية إنشاء عناصر تمكينية، أو مُمَكّنة للقوّات، مثل شبكات أنفاق للدفاع الحضري، ومبانٍ متصلة، ومناطق استهداف محدَّدة، وخنادق حضرية، ومواقع مخفية لمدفعية المشاة والمدفعية الصاروخية، وهياكل خرسانية متعدّدة المداخل والمخارج فوق الأرض وتحتها، ومخازن حصينة للدشم Revetments، ومصائد الدبابات Tank-traps، وعوائق أخرى، فضلًا عن مستودعاتٍ للخدمات اللوجستية.

67 شملت البنية التحتية تحت الأرض في ماريوبول مصنع الصلب آزوفستال، ومجمع إيليتش للحديد والصلب، وملاجئ الدفاع المدني من الحقبة السوفياتية، إضافةً إلى توظيف البنى الأصغر حجمًا، كقنوات الصرف الصحي وأنفاق المياه وأقبية المباني، بهدف التحرك سرًا أو الاحتماء داخلها. وعلى عكس غزة، لم تُنشئ الوحدات الأوكرانية إلا القليل من البنى التحتية الجديدة تحت الأرض أو فوقها. ينظر: شيخ؛ س. إ.

4. الدرس الرابع: لتحقيق الفاعلية لا مفرّ من العمليات المتعددة المجالات بالأسلحة المشتركة

كما يتبين مما سبق، تزيد احتمالات تحقيق نصر غير متوقع Upset ضد خصمٍ متفوّق، باعتماد القوة الأصغر على عملياتٍ متعددة المجالات بالأسلحة المشتركة[68]، بوصفها الدعامة الرئيسة في أي استراتيجية لدفاعٍ هجين. أُعرّف "العمليات المتعددة المجالات بالأسلحة المشتركة" هنا على أنها عمليات عسكرية تعتمد على التوظيف المنسق لأفرع عسكرية متعددة في بعض المجالات أو كُلّها (البرّية والجوية والبحرية والسيبرانية والإلكترونية والمعلوماتية والفضائية) بغية تحقيق تأثيراتٍ متزامنة ومتكاملة في جبهات القتال نحو هدفٍ مشترك[69]. وبدمج القدرات القتالية عبر عدة مجالاتٍ، وتوظيف مزيجٍ من التكتيكات التقليدية وغير النظامية، تتمكّن القوى الأصغر - على أقل تقدير - من تعزيز فاعليتها القتالية، وخفض خسائرها، وموازنة العديد من مكامن التفوّق لدى الخصم/ الخصوم الأكبر. ولتحقيق فاعلية عسكرية أكبر للقوّات الأصغر، ينبغي تضمين مبدأ العمليات المتعددة المجالات في العقيدة العسكرية وفي أساليب توظيف القوة وسبل انتشارها. ويجب أن يظهر هذا التوجه في تصميم/ تأسيس القوّات وأفرعها، وهيكلتها، واقتناء وتجهيز معداتها، وبرامج تدريبها. وقد برزت نماذج ناجحة لعمليات متعددة المجالات بالأسلحة المشتركة لدى كلٍّ من القوّات المسلّحة الأوكرانية ZSU والحرس الوطني الأوكراني NGU وجهاز الأمن الأوكراني SBU في معارك مقاطعة كييف ومنطقة الدونباس، وعمليات شبه جزيرة القرم والبحر الأسود، وعملية الغزو المضاد في كورسك الروسية؛ وكذلك لدى كتائب القسّام في عملية طوفان الأقصى بغلاف غزة.

5. الدرس الخامس: "القتال عن بعد" فَعّال ويتطور

تُمثّل الحرب عن بُعد Remote Warfare، وخاصةً توظيف المسيرات الجوية، أو المسيرات البحرية أو الغاطسة، أو

68 للحالات المقارنة الخاصة بتوظيف قوات غير دولتية للأسلحة المشتركة، ينظر: عاشور، **كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟**، ص 72-73، 156-167، 287-289.

69 وقد تشمل عمليات الأسلحة المشتركة أيضًا التنسيق ضمن المجال الواحد، ولكن بين أفرع مختلفة للقوات، كإسناد المدفعية أو الدفاع الجوي لتقدُّم المشاة والوحدات المدرعة في المجال البري، أو حتى ربط المجالين البري والجوي، كما حدث في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، أو كحماية الدفاعات الجوية المتحركة للراجِمَات MLRS، كما لوحظ ميدانيًا في شرق أوكرانيا وجنوبها.

غيرها من أنظمة الأسلحة "المستقلة"[70] أو شبه المستقلة Autonomous/ Semi-autonomous Systems، تقدمًا نوعيًا وكميًا في توظيف القوة عبر ضربات من مسافات مختلفة. ذلك أنّ توظيف أنظمة المسيرات المختلفة، على عيوبها الكثيرة، يُسهم في تعزيز الفاعلية القتالية، إن لم يرتقِ إلى مستوى الفاعلية العسكرية. ولذا، فإن استثمار الموارد فيها، من حيث الاقتناء والتدريب والصيانة والتحديث، يستحق العناء، فالاعتماد المتزايد على هذه الأنظمة، يُبرز أهميتها في أي مسرح عمليات، بسبب تكلفتها المنخفضة نسبيًا، ودقتها العالية، ومداها، وقدرتها على حماية الأفراد، فضلًا عن ميزاتها في عمليات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع والاتصالات، وتحسين القدرات فيما يعرف بـ "المناورات العمودية"، وتحسين فاعلية تكتيكات الحرمان المناطقي/ منع الدخول Area-denials وغيرها من فئات التكتيكات.

وبسبب توجيه قذائف المدفعية والراجمات باستخدام المسيّرات، زادت دقة الضربات في المجالين البري والبحري، لتتيح هذه الأنظمة تفوقًا عملياتيًا وتكتيكيًا مع تقليل الخطر على الأفراد. ولهذا، وكما تبيّن في أوكرانيا وغزة وغيرهما[71]، تُعَدّ هذه الأنظمة من عناصر التمكين الأساسية للقوّات الأصغر. فهي تُمكن هذه القوّات من فرض القوة Power Projection، وتعزيز الردع، وتسريع ما يعرف بحلقة "الكشف والقتل" (أي المدة الزمنية بين كشف موقع الهدف، و"خدمته" أو تدميره)[72]، وتنفيذ عملياتٍ مؤثرة مع الحد الأدنى من التدخل البشري. وكما لوحظ في العمليات البحرية الأوكرانية في البحر الأسود، لم تعد هذه الأنظمة مجرّد مضاعف آخر للقوة يعالج أزمات نقص أعداد الجنود/ البحارة/ مشاة البحرية أو قلة كم الذخيرة أو عدم وجود قطع بحرية لدى قوّات الدولة الأصغر/ الصغيرة، بل باتت تعيد صياغة التخطيط العملياتي من ناحية، ونتائج العمليات العسكرية في مجالات الحرب اللامتناظرة من ناحية أخرى. فقد مكّنت قوة بحرية أوكرانية صغيرة من تحدي أسطول تقليدي ضخم - مثل أسطول البحر الأسود الروسي - ومن إلحاق هزيمة عملياتية به في غرب البحر الأسود.

70 تتطلب معظم هذه الأنظمة تدخّلًا بشريًا كبيرًا، بما في ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، مهمات "الإنسان في الحلقة Human-in-the-Loop" و"الإنسان على الحلقة Human-on-the-Loop"، لتشغيلها على نحوٍ صحيح وفعّال؛ وأحيانًا تستهلك قوة بشرية أكبر من بعض المنظومات التقليدية كالدبابة، ومدفعية الجر- الذاتي وغيرها. وهكذا، يبقى استخدام وصف "الذاتي/ المستقل Autonomous" وصفًا مثيرًا للجدل، وما زال يخضع لنقاشات بين المختصين في أدبيات الدراسات الدفاعية والأمنية.

71 تُقدم دراسة الحرب الآذرية - الأرمينية الثانية (2020) دروسًا مهمة في مجال استخدام المسيرات لدعم هجوم متعدد المجالات، ولقمع الدفاعات الجوية للطرف المدافع.

72 "دخلت غزة بعملية انتقامية.. ما هي وحدة 'الأشباح' الإسرائيلية"، **التلفزيون العربي**، 2024/2/1، شوهد في 2024/10/7، في: https://acr.ps/1L9zR0k

6. الدرس السادس: التحالفات مع القوى غير الدولتية فاعلة عملياتيًا غير حاسمة استراتيجيًا

أقامت كلٌّ من أوكرانيا وسلطة حماس في غزة تحالفاتٍ مع قوى إقليمية غير دولتيّة في إطار استراتيجياتهما للدفاع الهجين. ففي حالة حماس، كانت هناك تحالفات مع الحوثيين في اليمن، وحزب الله في لبنان، وتنظيمات ما يُعرف بـ "المقاومة الإسلامية" في العراق. في حين دعمت أوكرانيا قوّات للمعارضة المسلّحة الروسية[73] والسورية[74] والمالية[75]، إضافةً إلى التشكيلات المسلحة للناشطين الأوكرانيين (خلال معارك 2014-2015)[76]؛ وهي تشكيلات أُدمجت لاحقًا في صفوف القوّات المسلّحة الأوكرانية والحرس الوطني الأوكراني.

ساهمت هذه التحالفات في زيادة القدرة على التصعيد الأفقي، وتوسيع نطاقه ضمن الدفاع الهجين. فقد عمِلت التنظيمات المتحالفة غير الدولتية مضاعفًا للقوة، ووسّعت نطاق العمليات الجغرافي، واشتبكت خارج الحدود المباشرة للحربين. ففي مقاطعات بريانسك وبلغورود وكورسك في روسيا الاتحادية، وفي لبنان واليمن وسورية والعراق في الشرق الأوسط، عملت القوّات غير الحكومية على توسيع مناطق العمليات وتقييد المزيد من موارد القوّات المهاجمة (الأكبر) واستنزافها.

وبسبب تلك القدرة على التصعيد الأفقي عبر توسيع رقعة العمليات ومساحتها - وليس حِدتّها أو مدّتها بالضرورة - على جبهاتٍ ومسارح متعددة، تعقّدت وصُعِّبَت سبل الاستجابة العملياتية للخصوم الأكبر. ويستفيد هذا النهج من الطبيعة اللامركزية والانتشار الجغرافي للقوّات غير الدولتية، وخبراتها القتالية في تعزيز الدفاع الهجين بطريقة فعّالة، من حيث التكلفة والتأثير. لكن هذا الأسلوب من الحرب غير النظامية ينطوي على مخاطر عديدة عند توظيفه؛ إذ يأتي

73 مثل "فيلق الحرية" و"فيلق المتطوعين الروس" و"الجيش الوطني الجمهوري" وغيرها من فصائل المعارضة المسلحة الروسية والبيلاروسية في أوكرانيا. إيليا بونوماريف. عضو سابق بمجلس الدوما الروسي والعضو الوحيد المُصوّت ضد ضم شبه جزيرة القرم في الدوما، مقابلة شخصية، وارسو، 2024/10/2.

74 انتصرت القوى السورية المؤيدة للثورة، بقيادة هيئة تحرير الشام يوم 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024. وقد قدمت أوكرانيا دعمًا عسكريًا لهذه القوى يشمل مزيجًا من الدعم الاستخباراتي، والقوات الخاصة، ومشغّلي الطائرات المسيّرة، ومدرّبي العسكريين. ينظر مثلًا: Evan Hill & Alex Horton "Ukraine Planned Attacks on Russian Forces in Syria, Leaked Document Shows," *The Washington Post*, 20/4/2023, accessed on 1/9/2024, at: https://tinyurl.com/559jn598

75 Alya Shandra, "Ukraine's African Gambit Gains Momentum with Success against Wagner in Mali," *Euromaidan Press*, 31/7/2024, accessed on 1/9/2024: https://acr.ps/1L9zQwc

76 تاراسيوك وبوركوفسكي وغاران.

بعوائد تكتيكية وعملياتية ملموسة، بينما تظل نتائجه الاستراتيجية مختلطة وغير حاسمة، ومن ثمّ موضع جدلٍ شديد ومتعدد الأبعاد[77].

7. الدرس السابع: الميزانية للفاعلية

أخيرًا، يُعاد تأكيد درسٍ قديم مستخلَص من الحروب على أوكرانيا وغيرها من الحروب، يتمثل في ضرورة "تكييف" الموازنة الدفاعية، بحيث تركز على تعزيز الفاعلية عوضًا عن التقنيات المستجدة أو الأنظمة المعقدة. ويبقى هذا التوجه عنصرًا محوريًا في الجاهزية العسكرية، خصوصًا لدى الدول الصغيرة في بيئاتٍ أمنية تشمل عدم التكافؤ العسكري بين الـجيران أو محدودية المـوارد. ففي عمليات الاستحواذ على أنظمة السلاح، تبرز أهمية مراعاة القدرات العملياتية ومستويات التدريب والاحتياجات التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية للدولة الأصغر وقوّاتها، وذلك لضمان توجيه الموارد نحو أنظمةٍ يمكن أن يوظفها الجنود بفاعلية وكفاءة، بدلًا من اقتناء تقنياتٍ متقدمة قد تظل غير موظفة على نحوٍ ملائمٍ بسبب ضعف التدريب، أو عدم واقعية اندماجها في العقيدة العسكرية للقوّات الأصغر، أو تعارضها لوجستيًا مع الإمكانات المتاحة فتبقى عبئًا على القوّات الصغيرة أو هدفًا سهلًا للخصوم الأكبر، أو الافتقار إلى استراتيجية تكامل متماسكة لهذه الأنظمة.

وينبغي تسليط الضوء هنا على أهمية أن تكون الأسلحة والمعدات قابلة للصيانة في ساحات المعارك وخارجها، مع وجود سلاسل توريد مستدامة لقطع الغيار والذخائر؛ ذلك أنّ الأنظمة المعقدة أو فائقة التطوّر يمكنها أن تخلق اختناقات لوجستية، في بيئاتٍ تشهد معارك أو تعاني شحّ الموارد. وقد بيّنت الحرب على أوكرانيا أهمية تفادي الفجوة بين برامج الشراء والحقائق العملياتية، وضرورة تضمين خطط الاقتناء لفقرات خاصة، بإجراءاتٍ تدريبية شاملة وقابلة للتوسّع، حتى لا تُهدر فاعلية الأنظمة المتقدمة. ويُعدّ تكامل مسارات التدريب مع سياسات التسلّح أمرًا ذا تأثير استراتيجي؛ إذ إن فاعلية أي منظومةٍ سلاح تعتمد على المستوى التدريبي والمهاري للأفراد، كما تعتمد على المنظومة نفسها. وتظهر الحالة الأوكرانية، لا سيّما في معركة هوستوميل عام 2022 وفي عموم معارك الهجوم المضاد عام 2023، كيف يُمكِن توليفة من التكيّف والتدريب واقتناء الأنظمة الفعّالة - وإن كانت قديمة نسبيًا - أن تتيح للقوة الأصغر التفوّق على خصومٍ أكبر، أو العكس (أي كيف يمكن أن يهدر الاقتناء غير الملائم فاعلية الأنظمة المتقدمة، ويعرّض القوّات الصغيرة لخسائر كبيرة). فبالنسبة إلى الدول الأصغر، تبرز أهمية إعطاء أولوية للأداء السابق/ التاريخي لمنظومة السلاح المرشحة للاختيار (ومن ثمّ موثوقية الاعتماد عليها وكيفية تطورها)، وسهولة الاستخدام، وقابلية التوظيف في ساحة المعركة، بدلًا من التركيز المطلق على وجاهة التقنيات الأعلى تطوّرًا وسمعتها؛ وذلك تفاديًا للمخاطرة بتكرار نتائج الهجوم المضاد لأوكرانيا عام 2023، وما شابهه من إخفاقات عالية التكلفة بشريًا وماديًا[78].

خامسًا: التداعيات الاستراتيجية على الدول الصغيرة

تُعدّ دولة قطر أحد أبرز النماذج لدولة صغيرة نسبيًا تسعى للتغلب على التحديات البنيوية والجيوستراتيجية الكبيرة المذكورة أعلاه؛ إذ قامت على المستوى الاستراتيجي باستثمارات كبيرة وناجعة في تطوير قدراتها الدفاعية والأمنية وترقيتها؛ ما عزّز من قدرتها على الردع، وكذلك من فاعليتها. وشملت هذه الخطوات توقيع صفقات كبرى لشراء أنظمة تسليح متقدمة، وإبرام شراكاتٍ دفاعية استراتيجية، وتنفيذ تدريباتٍ مشتركة بانتظام لصقل المهارات الخاصة بعمليات الأسلحة المشتركة مع الحلفاء، فضلًا عن تفعيل الخدمة الوطنية، وزيادة حجم القوّات المسلّحة في المجالات البرية والبحرية والجوية[79]. وشهدت الدولة كذلك تطوّرات مهمّة في المجالات السيبرانية والإلكترونية والمعلوماتية والفضائية، واستثمرت في التعليم الأمني والعسكري[80]. وإلى جانب ذلك، استثمرت قطر في صناعتها الدفاعية المحلية، كما تجلّى في تأسيس شركة "برزان القابضة" لمجالات ومعدات الدفاع والأمن[81]. وفي هذا السياق، طورت الدولة الصناعات العسكرية الوطنية لتعزيز قدراتها على الاكتفاء والاعتماد على الذات في اللوجستيات والمعدات العسكرية، وتحقيق استقلالية استراتيجية مستدامة في الدفاع والأمن.

أما على مستوى المحاكاة العملياتية، فيُعَدّ من المفيد بالنسبة إلى الدول الصغيرة بالمنطقة أن تحاكي وتُدرِّب قوّاتها، كما لو أنها تعمل في بيئات

77 عاشور، "تصاعد الفعالية القتالية للتنظيمات المسلحة في العالم العربي وخارجه".

78 عاشور، "من الهجوم المضاد إلى الغزو المضاد".

79 إبراهيم اسعيدي، "تطور السياسة الدفاعية القطرية بعد أزمة الحصار"، **دراسات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/9/17، شوهد في 2024/9/1، في: https://tinyurl.com/2zmy5uuz

80 المرجع نفسه. حول المجالين السيبراني والمعلوماتي، ينظر:
Mohamed Al-Dorani, *Cyber War: Qatar Blockade and the GCC Countries* (Independent Publishing Platform, 2018).

81 برزان القابضة هي شركة متخصصة في مجالات الدفاع والأمن في دولة قطر، تهدف لتعزيز القدرات العسكرية للقوات المسلحة القطرية وتتعاون شركة برزان القابضة مع الشركات والمنظّمات الدولية الرائدة في المجال العسكري. للمزيد، ينظر: "برزان القابضة"، شوهد في 2024/9/1، في: https://acr.ps/1L9zQwz

شبيهة بالقرم الأوكرانية أو غزّة الفلسطينية؛ أي الدفاع عن مناطق حضرية ذات ساحل خلفي وعمق جغرافي (طبيعي) محدود أمام عدوّ متفوق عدديًا يقاتل بتشكيلات في حجم فرق. فقدرة القوة الأصغر على صد قوة هجومية أكبر حجمًا، في عدة مجالات، هي في صميم الفاعلية العسكرية، وتساهم على نحوٍ مباشر في تعزيز إشارات القدرة على الردع العملياتي من الدولة/ الدول الصغيرة. فبالنسبة إلى هذه الدول، فإن الدروس المستخلصة من الدفاع الهجين قد تؤثّر في متغيرات عدّة، تشمل التسلّح، وربط الاقتناء بالتكامل والتدرب، والتحرك Mobility، والتحالفات، والعمل البيني المشترك Interoperability، فضلًا عن التعاون المدني - العسكري. وكان لهذا المتغير الأخير على وجه التحديد - والذي مثله نهج الدمج الشامل للمجتمع في العمل الدفاعي Whole-of-society Approach الذي جرى تبنيه في مراحل زمنية محددة في أوكرانيا وغزة - تأثيران استراتيجيان مباشران هما: تعزيز الصمود، وزيادة الفاعلية عند الطرف الأصغر المدافع عن أرضه.

وفيما يخصّ التسلّح، أحدثت عدّة فئات من منظومات السلاح في أوكرانيا وغزّة تأثيرًا استراتيجيًا غير متناسب مع تكلفتها أو حجمها. ومنها فئة منظومات صواريخ الدفاع الجوي المحمولة على الكتف MANPADS؛ إذ أدّى انتشارها في مقاطعة كييف إلى مواجهة التهديدات الجوية في أجواءٍ متنازع عليها، مثل ما حدث في عملية مطار أنطونوف في شباط/ فبراير 2022. وفي المقابل، أدّت ندرة هذه الفئة من المنظومات في كلٍ من مدينة ماريوبول وقطاع غزّة إلى منح السلاح الجوي الروسي والإسرائيلي - بمختلف طرازاته الجوية المأهولة وغير المأهولة، والثابتة الجناح والمروحيات - تفوقًا ساحقًا في كل الارتفاعات: منخفضة ومتوسطة وعالية. وقد أثبتت فئة الصواريخ الموجَّهة المضادة للدروع فاعليتها الكبيرة في التضاريس الحضرية والوعرة؛ ما أعاق - وأحيانًا أوقف - توغل المدرّعات وخصوصًا في شمال قطاع غزّة عام 2023 وفي مقاطعتَي كييف وتشيرنيهيف عام 2022. وتعددت طرائق التوظيف الفعّالة للمسيرات غير المأهولة في المجالين الجوي والبحري، لتشمل مهمات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع والتوجيه والاتصال، إضافةً إلى تنفيذ ضرباتٍ عالية الدقة على مدى قصير ومتوسط، بتكلفةٍ وعبء لوجستي أقل نسبيًا. ومع كل ذلك، ظلّت فئات فرع المدفعية - الصاروخية أو الأنبوبية - "ملوك المعركة البرية"[82] لفاعليتها المستمرة في أوكرانيا. بينما برهنت مدفعية المشاة (فئة مدفعية الهاون) وفئة العبوات الناسفة المرتجلة Improvised Explosive Devices, IEDs - وخاصة الخارقة للدروع/ المُتَشكّلة بالانفجار - على مستويات عالية من الفتك في غزة.

أمّا فيما يخصّ التوافق بين استراتيجيات الاقتناء وهيكل القوة وبرامج التدريب، فتُذكّر دراسة حالة القوّات المسلحة الأوكرانية بأهمية "الاقتناء القائم على التدريب" Training-centric Procurement، إذ إن إلمام الجنود واعتيادهم توظيفَ أنظمة الأسلحة القديمة نسبيًا، غالبًا ما ينتج منه فاعلية تفوق آثار التطور التكنولوجي للأنظمة الأحدث، وخاصة الأنظمة غير المتكاملة أو التي لم تُدمج ولم يُتدرب عليها تدريبًا مناسبًا ومُطَوّلًا. ولهذا، فإن تجنب الاعتماد المفرط على التقنيات المعقدة التي تتجاوز قدرات التدريب والجاهزية التشغيلية للقوة الأصغر درس ضروري.

ومن التداعيات الاستراتيجية، في إطار مفهوم الفاعلية القتالية للدول الأصغر، الحاجة المستمرة إلى الحركة، والمرونة في الانتشار المكاني، واللامركزية النسبية في مواجهة الخصومِ الأكبر والأكثر مركزيةً وتنظيمًا تقليديًا. ويمكن الإشارة إلى مثالين بارزين من أوكرانيا وغزّة لهما تداعيات على القدرات العسكرية للدول/ الأطراف الصغيرة/ الأصغر. يتمثل الأوّل في تكتيكات "الأسراب الكثيفة" Swarming Tactics، والثاني في أُطُر القيادة والسيطرة الموزّعة. فقد برهنت أوكرانيا، عبر استخدام مركبات جوية وبحرية غير مأهولة، فاعلية هجمات الأسراب الكثيفة (والصغيرة نسبيًا) ضد الأصول البحرية أو الجوية الكبيرة، كما حصل في البحر الأسود ومحيط شبه جزيرة القرم. أما في غزة، فقد ساعد توزّع أطر القيادة والسيطرة وأسلوب "القيادة بالمهمات" على سرعة اتخاذ القرارات الميدانية من ناحية[83]، وعلى الحماية النسبية للقيادات العليا وتأخير نتائج عمليات "قطع الرؤوس" Decapitation Strikes الإسرائيلية، من ناحيةٍ أخرى.

أخيرًا، أظهرت حروب أوكرانيا وغزّة (وغيرهما) الأهمية النسبية لأدوات الحرب السيبرانية والإلكترونية، على الرغم من محدودية التأثير والفتك لأدوات المجال السيبراني في العمليات الكبيرة تحديدًا، على غير المتوقع[84]. ومع ذلك، تُعدُّ استثمارات الدول الصغيرة في

82 العبارة مقتبسة من شعار مدرسة المدفعية الميدانية الأميركية في فورت سيل، وينسب أحيانًا إلى الجنرال عمر برادلي Omar Bradley، إبان الحرب العالمية الثانية.

83 Werner Wider, "*Auftragstaktik* and *Innere Fuhrung*: Trademarks of German Leadership," *Military Review* (September-October 2002), pp. 3-4; Dominik Thomas, *Moltke Meets Confucius: The Possibility of Mission Command in China* (Baden-Baden: Tectum Verlag, 2016), p. 1; Eitan Shamir, *Transforming Command: The Pursuit of Mission Command in the U.S., British, and Israeli Armies* (Stanford: Standard University Press, 2011); Ashour, *How ISIS Fights*.

84 Lennart Maschmeyer, "The Subversive Trilemma: Why Cyber Operations Fall Short of Expectations," *International Security*, vol. 46, no. 2 (2021), pp. 51-90; Lennart Maschmeyer & Nadiya Kostyuk, "There is no Cyber Shock and Awe: Plausible Threats in the Ukrainian Conflict," *War on the Rocks*, 8/2/2022, accessed on 4/12/2022, at: https://tinyurl.com/ytn2k6ms; Max Smeets, *No Shortcuts: Why States Struggle to Develop a Military Cyber-Force* (Oxford: Oxford University Press, 2022).

القدرات السيبرانية والإلكترونية ركنًا أساسيًا في أي استراتيجية دفاعٍ هجين فعالة؛ إذ تُمكّن القوّات الأصغر من تعطيل اتصالات القوّات الأكبر، والتشويش على أنظمة استخبارات الإشارة، وعلى الترددات الخاصة بتوجيه الذخيرة وبربط المسيرات بقادتها ومُوجّهيهَا، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. ويسمحُ أيضًا توظيف التقنيات التجارية ذات الاستخدام المزدوج - المدني والعسكري - في هذين المجالين بتوفير حلولٍ فعالة في مهمات الاستطلاع والمراقبة والاستخبارات، والاستهداف/ دقة النيران، والوعي بالموقف الميداني Situational Awareness. ويتيح انخفاض تكلفة هذا النوع من التكنولوجيا ذات الاستخدام المزدوج زيادة أعدادها كمًا، وتوظيفها على مستوى الوحدات الصغيرة، في حجم فصائل أو أصغر، في إطار استراتيجية دفاع هجين شاملة.

> أظهرت حروب أوكرانيا وغـزّة (وغيرهما) الأهمية النسـبية لأدوات الحرب السيبرانية والإلكترونية، على الرغم مـن محدودية التأثير والفتك لأدوات المجال السيبراني في العمليات الكبيرة تحديدًا، على غير المتوقـع. ومع ذلك، تُعدُّ اسـتثمارات الـدول الصغيـرة فـي القـدرات السـيبرانية والإلكترونية ركنًا أساسـيًا في أي اسـتراتيجية دفاعٍ هجيـن فعالة؛ إذ تُمكّن القوّات الأصغر من تعطيـل اتصالات القـوّات الأكبر، والتشـويش على أنظمة استخبارات الإشارة، وعلى الترددات الخاصة بتوجيه الذخيرة وبربط المسيرات بقادتها ومُوجّهيهَا، وذلك على سبيل المثال لا الحصر

خاتمة

تناولت الدراسة سؤالًا بحثيًا أساسيًا وراهنًا يتمحور حول كيفية تحقيق الدول الصغيرة فاعليةً قتاليةً وعسكريةً كبيرةً ضد خصومٍ متفوقين عليها في العدد والعدة والعتاد. واعتمدت الإجابة على تحليلٍ مقارن للمعارك في أوكرانيا وغزّة وغلافها، حيث أبدى الطرفان الأصغر في الحالتين قدرةً على الصمود والتكيّف وفرض تكاليف ميدانية باهظة على خصومٍ أكبر كثيرًا، من خلال تبني استراتيجيات للدفاع هجين. وقد بيّن التحليل المقارن دروسًا مهمة للدول الصغيرة في المواجهات العسكرية اللامتناظرة.

جادلت الدراسة بأنّ الدفاع الهجين، حين يُبنى على عملياتٍ متعدّدة المجالات بأسلحة مشتركة، يعزّز الفاعلية القتالية للقوة الأقل عددًا والأضعف تسليحًا. وبتوظيف خليطٍ من البنية التحتية في البيئة الحضرية والشبكات تحت الأرضية، والتحالفات غير الدولتية، وأنظمة الحرب عن بُعد، استطاعت القوى الأصغر تقليل آثار بعض مواطن الضعف العددي واللوجستي، ومن ثمّ التأثير إيجابيًا في نتائج المعارك والعمليات. وسلطت نتائج الدراسة الضوء على ضرورة الاستثمار في قوّات الاحتياط، وتفعيل التعاون المدني - العسكري وترقيته، واقتناء منظومات فعّالة ومتسقة مع التدريب وقدرات التوظيف. إضافة إلى ذلك، تبرز أولوية الاستدامة في خطوط الدعم اللوجستي وتبني هياكل قيادة مرنة بصفتها ركائز لا غنى عنها، لتحمّل الطرف الأصغر صراعات عالية الحدة وطويلة المدة.

بالنسبة إلى المخططين العسكريين وصناع السياسات في الدول الصغيرة، تُوضّح دروس أوكرانيا وغزّة الحاجة الملحّة إلى وضع أطرٍ استراتيجية للدفاع الهجين، تُراعي السياقات الجيوسياسية، بهدف تحييد التفوّق التقليدي لدى الخصم الأكبر. ففي المحصلة، سيعتمد نجاح الدول الصغيرة في بلوغ مستوياتٍ عالية من الفاعلية العسكرية، لا القتالية فقط، على قدرتها على توظيف الحلول الإبداعية والابتكار المستمر، ودمج التكيف مع اللاتناظر في العقائد العسكرية والتدريبات العملياتية والتكتيكية، مع مرونة البنية الهيكلية والتوفيق بين مسارات الاستحواذ على (أو اقتناء) المنظومات المتقدمة تكنولوجيًا وبرامج التدريب.

لا يُعدّ الدفاع الهجين مجرّد استراتيجيةٍ للنجاة والبقاء، بل هو سبيل إلى حفظ السيادة وتعزيز الردع وإعادة صياغة الحسابات الاستراتيجية لدى الخصوم أيضًا. فمبادئ الدفاع الهجين، لا تقتصر على التنظير الاستراتيجي، بل إنها أساليب حربٍ مُجرَّبة في ساحات المعارك لتعزيز صمود القوّات الأصغر أو تحقيق الغلبة لها، ورفع كفاءتها العملياتية وسط تعقيدات الحروب الحديثة. فلم يعُد الدفاع الهجين خيارًا رفاهيًا للدول الصغيرة أو الأطراف الأضعف، سواء كانت دولة أو حركة مقاومة؛ بل غدا ضرورةً استراتيجية، في حالة فشل الدبلوماسية والردع، لتحقيق مستوياتٍ أعلى من الفاعلية القتالية، والفاعلية العسكرية في نهاية المطاف، ومن ثمّ زيادة احتمالات النصر الاستراتيجي لـ "الفئة القليلة".

المراجع

العربية

اسعيدي، إبراهيم. "تطور السياسة الدفاعية القطرية بعد أزمة الحصار". **دراسات**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/9/17. في: https://tinyurl.com/2zmy5uuz

تاراسيوك، تاراس، وبترو بوركوفسكي وأليكسي غاران. "من مستضعفين إلى سادة حرب حديثة: تحوّل الحركات القومية الأوكرانية (2022-2023)". **أوراق استراتيجية**. رقم 16. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2024/5/12. في: https://tinyurl.com/2s3zmcwt

حرب حزيران/ يونيو 1967: مسارات الحرب وتداعياتها. أحمد حسين (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

عاشور، عمر. "تصاعد الفاعلية القتالية للتنظيمات المسلحة في العالم العربي وخارجه". **أوراق استراتيجية**. رقم 2. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/8/17. في: https://bit.ly/4eTnbpv

_____. "من الهجوم المضاد إلى الغزو المضاد: كيف غزت القوّات المسلحة الأوكرانية روسيا؟" **تحليلات استراتيجية**. رقم 9. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2024/9/17. في: https://tinyurl.com/3bs84stm

_____. "الأداء القتالي للقوّات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (2023-2024)". **تحليلات استراتيجية**. رقم 10. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2024/10/7. في: https://tinyurl.com/bdz7v22z

_____. **كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟ التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

الأجنبية

Abuamer, Majd. "Gaza's Subterranean Warfare: Palestinian Resistance Tunnels vs. Israel's Military Strategy." *Studies in Conflict & Terrorism* (May 2024).

Al-Dorani, Mohamed. *Cyber War: Qatar Blockade and the GCC Countries*. Independent Publishing Platform, 2018.

Ashour, Omar. *How ISIS Fights: Military Tactics in Iraq, Syria, Libya and Egypt*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2021.

Benedictus, Kent De. *Russian 'Hybrid Warfare' and the Annexation of Crimea: The Modern Application of Soviet Political Warfare*. London: I.B. Tauris, 2021.

Biddle, Stephen. *Military Power: Explaining Victory and Defeat in Modern Battle*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004.

Bowen, Andrew S. "Ukrainian Military Performance and Outlook," *In Focus*, Congressional Research Service. 21/10/2024. at: https://tinyurl.com/5n74zbnp

Byman, Daniel. "Understanding Hamas and Hezbollah's Uses of Information-Technology." *CSIS Briefs* (July 2023). at: https://tinyurl.com/59hdrzen

Clausewitz, Carl von. *On War*. Michael Howard & Peter Paret (ed. & trans.). Princeton: Princeton University Press, 1976.

Delaneo, Igor. "Russia Black Sea Fleet in the 'Special Military Operation' in Ukraine." *Foreign Policy Research Institute Report* (February 2024). at: https://tinyurl.com/5n86dpvh

Freedman, Lawrence. *Command: The Politics of Military Operations from Korea to Ukraine*. London: Allen Lane, 2022.

_____. *The Future of War: A History*. New York: Public Affairs, 2017.

Galeotti, Mark. "I'm Sorry for Creating the 'Gerasimov Doctrine'." *Foreign Policy*. 5/3/2018. at: https://tinyurl.com/y5ytmx2k

Gerasimov, Valery. "The Value of Science is in the Foresight: New Challenges Demand Rethinking

Margolin, Jack. *The Wagner Group: Inside Russia's Mercenary Army*. London: Reaktion Books, 2024.

Maschmeyer, Lennart. "The Subversive Trilemma: Why Cyber Operations Fall Short of Expectations." *International Security*. vol. 46, no. 2 (2021).

_____. "There is no Cyber Shock and Awe: Plausible Threats in the Ukrainian Conflict." *War on the Rocks*. 8/2/2022. at: https://tinyurl.com/ytn2k6ms

Mattis, James N. & Frank G. Hoffman. "Future Warfare: The Rise of Hybrid Wars." *U.S. Naval Institute Proceedings*. vol. 131, no. 11 (November 2005).

Mazarr, Michael J. *Mastering the Gray Zone: Understanding a Changing Era of Conflict*. Carlisle Barracks, PA: U.S. Army War College Press, 2015.

Millett, Allan R. & Williamson Murray (eds.). *Military Effectiveness*. 3 vols. Boston: Allen & Unwin, 1988.

Perkins, David G. "Multi-Domain Battle: Driving Change to Win in the Future." *Military Review*. vol. 97, no. 6 (November-December 2017).

Posen, Barry R. *The Sources of Military Doctrine: France, Britain, and Germany Between the World Wars*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984.

Qiao, Liang & Xiangsui Wang. *Unrestricted Warfare*. Beijing: PLA Literature & Arts Publishing House, 1999.

Reiter, Dan. *How Wars End*. Princeton: Princeton University Press, 2009.

Shamir, Eitan. *Transforming Command: The Pursuit of Mission Command in the U.S., British, and Israeli Armies*. Stanford: Standard University Press, 2011.

Shapovalova, Natalia & Balázs Jarábik, "How Eastern Ukraine Is Adapting and Surviving: The Case of Kharkiv." Carnegie Europe. 12/9/2018. at: https://tinyurl.com/jvy447jb

the Forms and Methods of Carrying Out Combat Operations." *Military Review* (January-February 2016).

Halper, Stefan. "China: The Three Warfares." Washington, DC: Office of Net Assessment (2013).

Hart, B. H. Liddell. *Strategy: The Indirect Approach*. London: Faber & Faber, 1941.

Hegghammer, Thomas. "The Rise of Muslim Foreign Fighters: Islam and the Globalization of Jihad." *International Security*. vol. 35, no. 3 (Winter 2010- 2011).

Hoffman, Frank G. "Conflict in the 21st Century: The Rise of Hybrid Wars." *Potomac Institute for Policy Studies* (December 2007).

Ingram, Haroro J. "Three Traits of the Islamic State's Information Warfare." *The RUSI Journal*. vol. 159, no. 6 (2014).

Jackson, G. N. "Defining Liminal Warfare: The UK's Approach." *RUSI Journal*., vol. 163, no. 2 (2021).

Jones, Seth G. et al. "The Coming Conflict with Hezbollah." *CSIS Briefs*. Center for Strategic & International Studies (March 2024). at: https://tinyurl.com/23ktzus3

Kaushal, Sidharth. "Ukraine's Naval Campaign and the Sinking of the Moskva: Implications for the War at Sea." *RUSI Commentary* (April 2022).

Keegan, John. *The Face of Battle: A Study of Agincourt, Waterloo, and the Somme*. New York: Viking Press, 1976.

Kilcullen, David. *The Dragon and the Snakes: How the Rest Learned to Fight the West*. Oxford: Oxford University Press, 2020.

Malet, David. *Foreign Fighters: Transnational Identity in Civil Conflicts*. Oxford: Oxford University Press, 2013.

Weiss, M. A. "The Evolution of 'Non-Linear Warfare' in Russian Military Doctrine." *Journal of Strategic Studies*. vol. 42, no. 2 (2019).

Wider, Werner. "*Auftragstaktik* and *Innere Fuhrung:* Trademarks of German Leadership." *Military Review* (September-October 2002).

Singer, W. *Corporate Warriors: The Rise of the Privatized Military Industry*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2003.

Smeets, Max. *No Shortcuts: Why States Struggle to Develop a Military Cyber-Force*. Oxford: Oxford University Press, 2022.

Solmaz, Tarik. "'Hybrid Warfare': One Term, Many Meanings." *Small Wars Journal*. vol. 25. 25/2/2022. at: https://tinyurl.com/bdh4emkn

Sweijs, Tim & Mattia Bertolini. "How Wars end War Terminations: Insights for the Russia-Ukraine War." *The Hague Centre for Strategic Studies* (May 2022). at: https://tinyurl.com/bdz2u8ns

The United States Army Special Operations Command. "'Little Green Men': A Primer on Modern Russian Unconventional Warfare Ukraine 2013-2014." Fort Bragg (2022). at: https://tinyurl.com/mv7udr7x

Thomas, Dominik. *Moltke Meets Confucius: The Possibility of Mission Command in China*. Baden-Baden: Tectum Verlag, 2016.

Tzu, Sun. *Art of War*. London: Oriental Books, 1994.

van Creveld, Martin. *Command in War*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985.

Virginia Page Fortna. *Peace Time: Cease-Fire Agreements and the Durability of Peace*. Princeton: Princeton University Press, 2004.

Walker, Christopher & Jessica Ludwig. "From 'Soft Power' to 'Sharp Power': Rising Authoritarian Influence in the Democratic World." *National Endowment for Democracy Report* (December 2017).

_____. "The Meaning of Sharp Power: How Authoritarian States Project Influence." *Foreign Affairs*. 16/11/2017. at: https://acr.ps/1L9zQsV